طلعنا عالحريّة

نصف شهرية، ثقافية، مستقلة

العدد 66

2016 / 3 / 7

تجديد الثورة.. وتجديد أنفسنا

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

تجديد الثورة.. وتجديد أنفسنا

افتتاحية بقلم إبراهيم الأصيل

الحراك السلمي السوري

الثورة ليست لحظة، وإنّما مسيرة حياة.. هذا ما تأكّد مرّة أخرى مع انطلاق المظاهرات السلمية في أرجاء سوريّا بعد سريان الهدنة وخلوّ السماء من طائرات العنف والموت والدمار التي حاولت بشتّى الوسائل ليّ إرادة السوريين بالتغيير والسعي نحو الحريّة والعدالة والديموقراطية. ولكن ذلك لم يكن الدرس الوحيد الذي جدّدته هذه المظاهرات، فهناك الكثير ممّا يمكننا استخلاصه، وما جرى في يوم 4 آذار 2016 هو دعوة لنا جميعاً للوقوف والتأمّل، في مسيرتنا وأهدافنا ووسائلنا.

فمّما نستطيع ملاحظته بوضوح هو ميل السوريين للوسائل السلمية بطبيعتهم، واستمتاعهم بها وحنينهم لها، لكنّ مستوى العنف الدائر ألغى البدائل السلمية وحصر الطريق بالسلاح، وهنا لا أناقش "العسكرة في الثورة"، وإنّما "عسكرة الثورة ككل"، وحصرها بالسلاح والاستهزاء بأي وسيلة أخرى أو خيار آخر تميل له مجموعة ما. إنّ محاصرة "الخيار السلمي" الضعيف أصلاً من أواخر 2012 وحتّى يومنا هذا كان له آثاراً سلبية على الجميع، سواءً المؤمنين بالعمل السلمي أو المسلّح أو حتّى ممّن يرون ضرورة الجمع بينهما. شعرنا جميعاً بعودة الثورة مع عودة المظاهرات السلمية، لأن الحراك الشعبي بمفهومه الثوري هو السعي نحو التغيير في سوريا على المستويين الاجتماعي والسياسي، وضياع هذه البوصلة يعني تحوّل كافة الجهود، سياسية أو عسكرية، لبندقية تائهة، قد تقتل صاحبها، أو أهله ورفاقه، كما يمكن أن تقتل أعداءه.

تخفيض درجة العنف تعطي فسحة للمجتمع المدني للعمل، ومساحة للسوريين والسوريات ليعبّروا عن مطالبهم بوسائل مختلفة، بوسائل اختاروها في 2011 وطوّروها مع مرور الوقت، وسيستمرّ إبداعهم ما استمرّ وجودهم، وسيستمرّ وجودهم ما استمرّت ثورتهم. وتخفيض درجة العنف أيضاً سيكون المنفذ الذي ستعبر منه المرأة السورية لتعود عنصراً فاعلاً في حراكنا وحاضرنا وفي عملية التغيير والتحدّي.

المظاهرات السلمية جدّدت هذا التحدّي، على المستوى المدني والسياسي. فأمام الناشطين تحدّي تجديد الخطاب ليكون جاذباً وشاملاً، وتحدّي البحث عن وسائل جديدة تناسب المرحلة وتكون قادرة على التعبير عن مطالب النّاس، دون الاستخفاف بخياراتهم مهما كانت، ودون التحوّل للصدام مع من اختار الخيار المسلّح لأسباب كثيرة ومعقّدة لسنا بصدد مناقشتها هنا. وأمام السياسيين تحدّ للمناورة لإيطال فترة الهدنة والوصول لترتيبات تسمح بالعمل المدني بالاستمرار، فذلك هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة كافة أنواع الاستبداد، السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي.

النظام وداعش والنصرة لم يهدأ لهم بال منذ سريان الهدنة، وما أرّقهم أضعافاً مضاعفة هو رؤية المظاهرات السلمية تعود مرّة أخرى لتغطّي الخريطة السورية، وليس ذلك فقط، بل بأعلام ملوّنة تعكس تلوّن السوريين بانتماءاتهم وأفكارهم، عادت الساحات لتعجّ بالراقصين، وكل رقصة أقسى على داعش والنصرة من ألف معركة، وكل ضربة طبل أقسى على النظام من ضربات المدافع. السبب هو "روح الحياة" في وجه "ثقافة الموت"، وهو الدليل أن كل الصراع الذي يخوضه السوريون اليوم هدفه تأمين حياة أفضل لهم ولأبنائهم، لا الاعتداء ولا الانتقام، وهذا ما تأكّد مجدداً، مؤكداً طبيعة المعركة ووسائل الانتصار.

لن يكون الحفاظ على هذه الفسحة الضيقة سهلاً، فهناك نظامٌ لم تتغيّر نواياه وطبيعته، وهناك متطرّفين أصبحوا يرون سوريا حقّهم وأرضهم، وكل أولئك سيسعون لتغيير الظروف التي سمحت بالعودة للتظاهرات، سواءً بتفجير النزاعات الجانبية والمحليّة، أو باستهداف الناشطين، أو قادة الحراك، وتفادي كل ما سبق يتطلّب تضافر الجهود من الجميع، المنخرطين في العمل المدني وممارسي السياسة وحاملي السلاح في تلك المناطق، لتفادي تحويل الطريق مجدداً وحرف البوصلة.

وفي النهاية، لا شك أن التماس الجمال في هذه الثورة هو ما يساعدنا على الاستمرار، فخمس سنوات والثورة السوريّة تهزّنا، تفاجئ أبناءها وبناتها قبل غيرهم بقدرتها على الاستمرار وتجديد نفسها، بحرٌ موجهُ لا يُحصى وريحٌ لا مبدأ ولا مستقرّ لها، المظاهرات اليوم كأنها خفقة الثورة الأولى من جديد، هذا الكائن أسطوري وهذا العشق أزلي، لا تستطيع إلّا أن تكون مريداً صوفياً في حضرة هذه الثورة، تصطفّ مع عشّاقها جنباً إلى جنب، تضع ذراعيك على صدرك وتنحني برقّة المُحب.. وتدور.. فكلّ طريقٍ منك وإليك كلّ درب..

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

رئيس التحرير
ليلى الصفدي

معاون رئيس التحرير
أسامة نصّار

المحرر الثقافي
رامي العاشق

المحرر الاقتصادي
وائل موسى

زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية
رزان زيتونة - ناظم حمادي

مآل الهدنة وضبابيتها

شوكت غرزالدين

إذا ما رسمنا خطاً بيانياً لدراسة الهدنة خلال ستة أيام نجده خطاً تنازلياً يُعبِّر عن انخفاض عدد الضحايا، وانخفاض تدفق اللاجئين من جهة أولى. ومن جهة ثانية نجده خطاً تصاعدياً يُعبِّر عن زيادة في إيصال المساعدات الغذائية والطبيّة للمناطق المحاصرة، وعودة تدريجيّة للتظاهر السلمي في بعض المناطق المحررة. وهذا يعني أنَّ الهدنة لصالح السوريين نسبياً لا بالمطلق.

وبالرغم من هشاشة هذه الهدنة، وانخفاض سقف التوقعات والآمال منها، إلّا أنها أسهمت بتغيير المزاج العام الذي كان محبطاً ويائساً وانتقامياً لصالح بعض التفاؤل والسلم والتسامح. وهذا يعني من جملة ما يعنيه قابلية هذه الهدنة للتمديد والالتزام فيها بشكل متنام.

ربما الضبابية في قرار الهدنة تتيح تأويلات متعددة تتضمن وعوداً تجعل منها هدنة لا تنهار. فالوضوح الكامل يجعل الأطراف في حالة "مانوية": أي خيارين لا ثالث لهما، هما الرفض والقبول، الأسود والأبيض، بينما الضبابية تؤدي لموقف ملتبس ومتداخل وتضعنا وجهاً لوجه مع السياسة والواقع. وهنا نجد أنَّ للضبابية الكامنة في قرار الهدنة وظيفة في مآلها الاستمراري وفي تمديدها لاحقاً؛ فقرار الهدنة يحمل وعوداً مختلفة لأطراف متخالفة ومتصارعة تجعل من جميع الأطراف رابحين في آن.

وبين المجهول والمعلوم، في قرار الهدنة، تستمر الهدنة بتثاقل ولا تنهار بالرغم من الخرق الموثّق لها، لما تحمله من وعود وضمانات من جهة، ولأنها لا تتضمن آليات رادعة وفورية تلجم صاحب الخرق من جهة ثانية. بل على العكس من ذلك، ستتجدد هذه الهدنة وستواكب العودة إلى العملية التفاوضية التي تأجل انطلاقها إلى 9 آذار 2016.

يَعدُ قرار الهدنة ويضمن عدم استهداف قوات النظام والقوى الداعمة لهذا النظام مستقبلاً إنْ هي التزمت بقرار الهدنة. والمقصود "بالقوى الداعمة للنظام" يبقى حتى الآن مجهولاً: فهل تشمل حزب الله والحرس الثوري الإيراني وأبو الفضل العباس وكتائب الحماية الكردية وقطعان الشبيحة واللجان الشعبية وكتائب البعث ولجان الحماية الذاتية...؟! ومن المعروف أنَّ النظام يميل لعدم تدويل قضاياه ليقينه أنَّ من يسقطه هو عمل دولي فقط. فلذلك من مصلحة هذه القوى والنظام الذي تدعمه أنْ تظهر بمظهر الملتزم بالهدنة كي تتجنب استهدافها دولياً وإقليمياً. وبذلك تكتفي هذه القوى شرّ ما يسميه الأميركيون "الخطة ب"، والتي سينفذها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية جواً و التحالف الإسلامي بقيادة المملكة العربية السعودية وتركيا براً.

وحتى الآن يبقى مجهولاً كذلك مَنْ هو سوى داعش والنصرة على قائمة الإرهاب، وهذا يزيد من الضبابية التي تغلّف قرار الهدنة، بالإضافة للمصير المجهول أيضاً للمناطق التي فيها تداخل من جهة المعارضة في بعض مناطقها مع داعش أو النصرة، ومن جهة النظام والتداخل مع مناطق حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي أو حزب الله...

والحق يقال إنَّ الهدنة برزت للوجود إثر الاستعصاء السوريّ الذي لفّ الجميع بما فيهم الروس أولاً، ولقطع الطريق على تصعيد بريّ سعوديّ/تركيّ ثانياً، واستنكار شعوب العالم للتمادي في القتل والقصف والبراميل والحصار؛ وهو الشيء الذي ينتج عنه تصاعد في تدفق اللاجئين وعدم احتمال الضمير العالمي لمشاهد الموت جوعاً وغرقاً وتحت التعذيب ونتيجة للقصف الروسيّ/السوريّ المجنون ثالثاً.

ورغم هذا البروز المعقد للهدنة، على أكثر من صعيد، يبقى المرجح استمرار الهدنة وتمديدها لما فيها من ضبابية وعدم تعيين، وللوعود التي تحملها، ولغياب الردع المباشر والفوري وحضور التوعد والوعيد بخطط بديلة جويّة وبريّة وتَعرُض للهجوم، فعلى ما يبدو أنها هدنة بدأت لتبقى وتتمدد لا لتنهار.

وبتدقيق أكبر لفحوى الهدنة عموماً نجد أنَّ الهدنة رمت بعدم تعيينها (للقوى الداعمة للنظام، ولمناطق التداخل، وللقوى الإرهابية باستثناء داعش والنصرة، ولهوية المشاركين في الحرب المستمرة على داعش والنصرة وسواهما ممن سيحدده مجلس الأمن لاحقاً) مشاكل السوريين إلى الأمام وإلى المستقبل القريب والمتوسط. وهو ما سيتم تعيينه مستقبلاً حسب موازين القوى والمصالح ومفاعيل الزمن. وهذا يعني فيما يعنيه أنَّ على السوريين وضع كلّ ثقلهم في المعادلة ليتمّ تعيين المجهول والمعلوم في معادلتهم للمساهمة في تمديد الهدنة، وصولاً لوقف شامل لإطلاق النار، ولزحزحة العمليّة التفاوضيّة.

وفي ظل هذا يحاول رأس النظام تصعيد رغباته المنفصمة عن الواقع لقناعته بأنه شريك في محاربة داعش والنصرة ومن سيسميهم مجلس الأمن لاحقاً، بهدف إيهام حلفائه ومناصريه أنَّه مركز القضية السوريّة ومركز المنطقة وأنَّه سيعيد كامل الأراضي السوريّة إلى سيطرته مع مرور الوقت وأنَّه سيصدر عفواً عمن يلقي السلاح من خصومه ويصدر قراراً بالانتخابات التشريعية في 13 نيسان... وكأن الروس والإيرانيين والأمريكيين والأتراك والسعوديين يعملون عنده وحسب رغباته وأوهامه!!

وهذا كله سيتحطّم على صخرة الواقع والسياسة، كما تحطمت منزلة الإنسان بوصفه مركز الكون على يد "كوبرنيكوس". وعندها يثبت للجميع أنَّ رأس النظام ما هو إلّا جزء هامشيّ من القضية السوريّة قياساً بواقعها ومستقبلها. فعلى السوريين ومعارضتهم تجاوز أوهام رأس النظام باتباع منهج ميكافيلي الذي مفاده: "لنخرج رأسنا من الواقع بدلاً من أن نخرج الواقع من رأسنا، ولنذهب مباشرة إلى الواقع بدلاً من الاكتفاء بتخيله"!

وقف إطلاق النار في سـوريا

توقـف القصف بالصواريخ والطيران ومناوشات محدودة على الأرض

طلعنا عالحرية

حاولت مجلة طلعنا عالحرية استطلاع الأوضاع في مختلف المناطق السورية عقب الإعلان عن اتفاق وقف إطلاق النار، لمعرفة مدى التزام الأطراف بها، كما حاولنا سبر آراء عدد من الناشطين والمواطنين بالاتفاق وفرص نجاحه، وبعض الأمور الإشكالية فيه كاستثناء جبهة النصرة.

اتفق الناشطون من مختلف المناطق على التزام جميع الأطراف النسبي بالاتفاقية؛ حيث أكد الناشط الإعلامي محمد الرفاعي من درعا أن "هناك التزام إلى حد كبير قد يصل إلى 90% إضافة إلى توقف طلعات الطيران" وكذلك في ريف درعا الغربي قال الناشط والإعلامي إبراهيم حمد إن "الالتزام في المنطقة من قبل جميع الأطراف يقارب نسبة 75%، رغم تسجيل بعض الخروقات اليومية والتي أدى بعضها إلى سقوط شهداء"، وأفاد حمد بأنه لم يتم تسجيل حالات قصف طيران إنما كان هناك طلعات جوية متفرقة. وفي الحسكة، قال الصحفي فرهاد أحمد إنه لم يكن هناك قصف بالطيران على منطقته أصلاً. وقد أعلنت القوات المسيطرة على الأرض هناك (قوات سوريا الديمقراطية) من جانبها الالتزام بهذا الاتفاق. وفي ريف إدلب قال الناشط الإعلامي محمد فتوح: "لم يكن هناك قصف إلا في منطقة واحدة فقط".

بيان ريحان، موظفة في المجلس المحلي في مدينة دوما، تقول إن "هناك نوع من الالتزام بوقف إطلاق النار من قبل المعارضة، أما النظام فقد مارس بعض الخروقات في أطراف الغوطة" ويوافق ذلك ما نقله السيد خالد قاقيش من مدينة دوما ويعمل في القطاع الصحي، الذي رأى أن "المعارضة التزمت بشكل كامل لأنها شعرت بوجع الشعب، إلا أن النظام لم يلتزم تماماً بالهدنة". وأيضاً وافق معتصم وهو ناشط في إحدى مجموعات متابعة وقف إطلاق النار أن الخروقات الأكبر من جهة النظام، فقال: "مع نهاية الأسبوع الأول من وقف العمليات العدائية حسب الاتفاق الروسي الأمريكي لوحظ وجود خروقات من قبل قوات النظام في ريف إدلب وريف اللاذقية وريف دمشق وريف حماة الجنوبي"، بينما أكد أن "الالتزام من طرف كتائب المعارضة كان أكبر بكثير".

وفصّل الناشط والصحفي مصعب الحمادي ابن حماة بقوله "إن منطقة سهل الغاب بريف حماة تشهد اشتباكات محدودة في الجزء الشمالي القريب من مدينة جسر الشغور بسبب أهمية هذه المنطقة للنظام. وفي أول يوم للهدنة قصف النظام قرية الناجية التابعة لريف جسر الشغور والمحاذية لسهل الغاب فراح جيش التحرير التابع للمعارضة يقصف مواقع النظام في قرية جورين في سهل الغاب بصواريخ غراد.. عدا عن ذلك لم تسجل خروقات مهمة للهدنة، والطيران الروسي لم يقصف سهل الغاب بعد الهدنة" ويضيف مصعب: "في إحدى الحالات قصفت دبابة تابعة للنظام قذيفة -بالخطأ- باتجاه قلعة المضيق فقدم الضابط المسؤول من طرف النظام الاعتذار للأهالي عبر وسيط".

عن خرق الاتفاقية وإمكانية نجاحها

قال فرهاد من الحسكة: "وإذا كان من طرف قد يخرق الهدنة فهو النظام كونه المستفيد الوحيد من الصراع المسلّح". كما أعرب عن اعتقاده أن "نجاح الاتفاقية مرهون بقدر ما تتحقق مصالح الدول الكبرى".

الناشط الإعلامي محمد الرفاعي من درعا بدا متشائماً من نجاح الهدنة معتبراً أن "المتضرر الأكبر هو الشعب السوري والهدنة هي فرصة للنظام وإطالة في عمره".

وتتوقع بيان نجاح الاتفاقية بشكل عام. فيما ربط حمادي ذلك بحال "بقي التنسيق الأميركي الروسي في حالة جيدة"، وكذلك رأى معتصم أن النجاح يعتمد على "جدية المجتمع الدولي بدعمها وإيقاف الجهات التي تقوم بخرقها"

وأردف معتصم أنه "يجب البناء على استمرار الهدنة من أجل الوصول إلى حل سياسي وليس الإبقاء على الهدن بدون وجود تحركات سياسية لا تقتصر على مداولات لا تفضي إلى نتيجة".

حلول يطرحها ناشطون:

- العمل على فك ارتباط جبهة النصرة بالقاعدة وجعلها أقرب إلى الثورة السورية والسوريين

- آخرون: خروج جبهة النصرة من سوريا، أو خروجها من بين المدنيين، أو حلها وإعادة استيعاب عناصرها السوريين في كتائب الجيش الحر

عن تمديد الهدنة

عبر معظم من شملهم استقراؤنا عن تأييدهم للتمديد، وشكّك حمد من ريف درعا بإمكانية التمديد "لأن المجتمع الدولي وحتى الأطراف التي سعت من أجل الهدنة لم تتعامل مع الملف بجدية، وكانت كل مبادراتها خجولة لم ترقَ إلى أبسط تطلعات الشعب السوري" وعبر عن تأييده للتمديد "في حال كان هناك خطوات عملية تتبعها بهدف وضع نهاية لهذه الحرب؛ بحيث تلبي مطالب الشعب في الحرية، أما إذا لم يحصل ذلك فلا يمكن ضمان استمرار التزام أي طرف من الأطراف بالهدنة، ومن الممكن أن يتطور الوضع إلى ما هو أسوأ". وعلّل فرهاد أحمد من الحسكة تأييده للتمديد بأن "ذلك يفتح مجالاً للعملية السياسية وتجنيب السوريين المزيد من الدماء".

واشترط محمد فتوح من ريف إدلب تأييده بالتزام النظام بعدم القصف، مرجحاً شكوكه بمصداقية النظام وقدرته على الالتزام. في حين كان تعليل محمد من درعا لذلك بأن "مقاتلي الجيش الحر بحاجة إلى راحة وإعادة ترتيب صفوفهم" بعكس مروان من الغوطة الشرقية الذي توقع عدم تمديد الهدنة أو وقف الهجمات على مناطق الغوطة، بل برأيه أن "التهدئة هي عبارة عن راحة لقوات النظام" وعادت بيان من دوما لتؤكد تأييدها "بشدة لتوسيع الهدنة ووقف إطلاق النار"، واعتبر خالد قاليش من الغوطة أيضاً أن "بداية الحل هي الهدنة ويجب أن تستمر". وأشارة معتصم إلى أن: "انخفاض العمليات العسكرية والهجمات بالطيران الحربي ساعد المدنيين بالعودة الى التحرك الثوري في الكثير من المناطق السورية المحررة وإعلاء صوت الثورة، خاصة أننا قريبون من الذكرى السنوية الخامسة لانطلاق الثورة".

... تتمة في الصفحة التالية >>>

وقف إطلاق النار في سـوريا

حول استثناء جبهة النصرة

قال حمد: إن "القرار لم يعجب الكثير من الناس خصوصاً في المناطق التي كانت جبهة النصرة سبباً في تحريرها من قبضة النظام وهي مناطق كثيرة في حوران". وأضاف في سياق رؤيته للحلول الممكنة أن "جبهة النصرة من مكونات الثورة السورية، واستثناؤها يسبب مشاكل كبيرة ويجعل منها حجّة للنظام المدعوم بالطيران الروسي لقصف المناطق التي توجد فيها والتي هي أساساً مناطق مدنية، لذلك أتمنى عدم استثنائها بل محاولة تغيير مواقفها والعمل على فكّ ارتباطها بالقاعدة وجعلها أقرب إلى الثورة السورية والسوريين". وكذلك قال محمد من درعا إن "الكثير من الأهالي معارضون لاستثناء جبهة النصرة لأنها تسيطر وتنتشر في الكثير من المناطق المدنية واستهدافها هو استهداف للمدنيين". معتبراً أن التصرف الأفضل هو "ابتعاد النصرة عن المناطق السكنية وعدم وضع مقرات لها بين المدنيين، وعدم إعلانها تبعية أي مناطق لها". وقريباً من ذلك ما ذهب إليه فتوح من ريف إدلب الذي اعتبر "أغلب الناس غير موافقين" لأن النصرة "موجودة ضمن مناطقنا ومنتشرة بشكل واسع" على حدّ قوله، ويرى فتوح أن شملها ضمن الاتفاقية هو الحل. وقال مروان عن النصرة: "جبهة النصرة إخواننا وبغض النظر أنهم غرباء أو أقرباء، يجب أن نقف معهم لأنهم دافعوا عنا، والحل هو إما تغيير الاسم أو أن ينضموا لباقي الفصائل". بخلاف باقي النشطاء في الاستطلاع حيث قال فرهاد من الحسكة: "الناس بشكل عام تؤيد استثناء جبهة النصرة من هذه الاتفاقية طالما هي تعتبر نفسها فرعاً للقاعدة في سوريا، وقد يكون عزلها من هذه الاتفاقيات وأية تسويات سياسية هو التصرف الأفضل. فكلما زاد الضغط عليها ستضعف وسيكون ذلك أفضل من إنهائها عسكرياً". وعبر مصعب حمادي عن موقفه النهائي من النصرة باعتباره "النصرة تنظيماً إرهابياً، وهو تابع لتنظيم القاعدة العالمي"، وأعرب عن اعتقاده بوجوب "معاملته معاملة داعش"، مضيفاً أنه "حتى السوريون الذين في النصرة إما يعبثون بالدماء لأجل المال والسلطة أو تكفيريين يريدون ذبح كل الأقليات بالإضافة لثلاثة أرباع السنة كونهم مرتدين!". وبنفس الاتجاه ذهب خالد من دوما فبرأيه "الحلّ الوحيد هو إخراج جبهة النصرة من سوريا". وفي نفس المدينة عبرت بيان عن تخوفها من استثناء النصرة لأنها "تمثل جزءاً كبير من الموجودين على الأرض وأصحاب التأثير، واستثناؤها يعطي حجة للنظام لقصف مناطق وجودها". أما معتصم فيرى أن مسألة النصرة مجرد ذريعة: "لقد تم استخدام جبهة النصرة كحجة من أجل استمرار بعض العمليات العسكرية كما استخدمت من قبل داعش كحجة لبدء الضربات الجوية الروسية على المدنيين والمشافي وفرق الدفاع المدني السوري بالإضافة إلى كتائب الجيش الحر دون وجود ضربات حقيقية على قوات داعش". معتبراً أن الطريق إلى حل هذه الإشكالية بالنسبة إلى المنتسبين السوريين هو "العمل على توعيتهم بخطورة التفكير القاعدي على أنفسهم وعلى المجتمع السوري، وتهيئة الأجواء لدمجهم من جديد في المجتمع.. حيث من الممكن إعادة استقطابهم من قبل كتائب الجيش الحر أو الكتائب الاسلامية المعتدلة".

الهدنة التي أذلت النظام وصفرت العداد

نبيل شوفان

لقد اختار النظام إعلان الحرب على شعب ضعيف هتف للحرية لا للإسلامية، للديمقراطية لا للخلافة، للعدل لا للقتل، لم يكن السوريون الشباب يملكون قطعة سلاح واحدة، أنا أذكر كيف دافع أهل الخالدية في حمص عن مظاهراتهم بالحجارة، لكن وفيما بعد وحين رفض بشار الأسد فكرة المصالحة، وخاف من العدل، واستشرس دفاعاً عن منصبه غير الشرعي، وأمر الجيش بمحاربة الشعب، تسلّح الشباب السوري. فيما بعد طالت الحرب وتسلّحت الثورة بعد سنة من مقاومتها -سلمياً- جيش النظام، ثم ظهرت النصرة ثم داعش ثم قوات الحماية الكردية وغيرها.

من يذكر الضابط في "الجيش السوري" الذي تقدم إلى عناصر "الجيش السوري الحر" في الغوطة الدمشقية حين أعطوه الأمان فقال لهم: "أنا درست في الكلية الحربية على حسابكم ونحن إخوة لكن يأتي ابن حرام ويخربها علينا كلنا"، ثم عاد الضابط إلى صفوف قواته وعقدت شبه هدنة على تلك الجبهة، ليتم اغتياله من قبل قوات النظام في الأيام القليلة التي تلت هذه الحادثة. من يذكر أبو الفرات حين قال: "والله إني حزين فهؤلاء إخوتنا وهذه دباباتنا"، ثم تم اغتياله في الأيام القليلة التي تلت هذا التسجيل أيضاً!

نعم في تلك المرحلة كان ما يزال هناك وجود لوعي سوري بين الأطراف المتحاربة يفوق وعي من يمولهم، إن كان النظام وإن كان مقاتلو المعارضة -ولو أن من قاتل مع النظام فهو من بدأ الظلم-، ولكن كان علينا أن نعرف أن اغتيال أبا الفرات والضابط النظامي هو تحول في مجرى الأحداث إلى حرب دولية؛ فأمريكا وبأدواتها العربية تريد حل مشاكلها الداخلية والخارجية بإشعال حرب، وكان هذا بالضبط ما يريده النظام الذي أشرك حزب الله بأمر إيراني، ثم تدخلت روسيا التي تخوفت على مصالحها من إيران نفسها.

جرت العادة أن يقوم أحد الأطراف المتحاربة -الأكثر خسارة- بالتقدم بطلب هدنة إلى الطرف المعادي، وبعد عدة مفاوضات ولقاءات يتم التوقيع على الهدنة من قبل الأطراف المتنازعة التي قامت بالتفاوض. لا يهدف الطلب إلى وضع حدّ إلى الحرب ولكن لوقف العمليات، لتجنب الإذلال من الطرف الآخر، وهي تجبر الطرف الأضعف على التخلي عن جزء من أهداف حربه الأصلية.

لكن في الحالة السورية ليس للسوريين علاقة بالحرب ولا بالهدنة، فأمريكا وروسيا هما من تهادنا والنظام السوري هو من تعرّض للذلّ؛ لأنه ظهر بمظهر الضعيف أمام مؤيديه، بدءاً من جنيف وحتى إعلان الهدنة.

تظاهر السوريون -عوداً على بدء- ليرموا خمس سنين من الحرب والموت والألم خلف ظهورهم، منادين بما نادوا به من اليوم الأول "الشعب يريد إسقاط النظام"، لذلك فالسوريون مع الهدنة التي أذلت بشار الأسد وجعلت رحيله عبر عملية سياسية أكثر سهولة، وهذا ما ستثبته المفاوضات إذا كانت المعارضة شاطرة، فالشعب عاد للتظاهر في مناطق سيطرة الجيش السوري الحر، وبزخم غير متوقع من قبل أكثر المتفائلين، ودون رصاص وبراميل هذه المرة، بل مع هتاف واحد واحد واحد الشعب السوري واحد! ومع ابتسامة رسمها من صرخ متندراً "لك دخيلو الصاروخ الواقف بالإرنة شو مو داخل بالهدنة".

ويبدو فعلاً أن الثورة مستمرة، ويبدو أن عودها على بدئها أزعج وأحرج المرجفين المشككين في هتاف الشعب يريد إسقاط النظام.

المعارضة مهددة بخسران آخر منافذ شرعيتها

مرقاب

أصبح من المسلم به منذ زمن وجوب حصول شكل ما من التفاهم الدولي قبل أي مفاوضات بين الفرقاء السوريين، وقد كان هذه التفاهم صعب المنال دائماً، ولكن ثلاثة عوامل حدثت خلال العام الماضي جعلت التواصل بين القوى الدولية ممكناً، وهذه العوامل هي: صعود تنظيم الدولة كعدو مشترك، وذوبان الجليد في العلاقات الأمريكية الإيرانية، والتدخل العسكري الروسي في سوريا.

خلافاً لبعض التحليلات، أثبت التدخل الروسي قدرته على قلب الموازين العسكرية داخل سوريا، فخلال مفاوضات جنيف 3 وفيما يشبه الفخ، أطلقت القوات السورية بغطاء من الطيران الروسي حملة عسكرية ضخمة على حلب، استطاعت فيها فك الحصار عن مدينتي نبل والزهراء، ولتتجه لاستعادة الريف الشمالي خلال فترة وجيزة، كما كشفت في الوقت ذاته ضعف الدفاعات الهندسية والتكتيكية للمعارضة المسلحة بالرغم من سيطرتها على هذه المنطقة لسنوات. وتظهر الحملة العسكرية أن لها عدة أهداف: حماية المنطقة العلوية الساحلية، ودفع الثوار بعيداً عن المدن الكبرى، وقطع خطوط الإمدادات الخارجية لهم. وهو ما حققته روسيا إلى اليوم إلى حد كبير.

من الأكثر ترجيحاً أن تكتفي حملة النظام السوري بمحاصرة مدينة حلب وحصارها ومن ثم التعامل معها كجيب معزول مشابه لحالة الغوطة الشرقية، ولكن يبقى الأخطر أن تفقد كتائب المعارضة جبهاتها مع تنظيم الدولة الإسلامية في حلب لصالح النظام السوري، وحينها سيكون النظام الشريك الوحيد في محاربة التنظيم، في حين ستبقى المعارضة محصورة في إدلب وريف حماه مع جبهة النصرة.

أتى إعلان الهدنة بتوافق روسي أمريكي، ويمكن القول إن هناك عاملين أساسيين وراء هذا الاتفاق، أولاً الرضا الروسي عن ما حققه النظام السوري في حملته الأخيرة على حلب يجعله لا يمانع ببعض الراحة، ويقيه من تكاليف الاستمرار بمواجهة الغضب التركي السعودي، وثانيهما الإحراج الأمريكي من الانطباع بأن روسيا تلاعبت على أمريكا في جنيف.

بالرغم من كون الهدنة كانت مطلباً ملحّاً للفصائل المعارضة التي أنهكتها الحرب، إلا أن قراءة متأنية للبيان تشي أن الهدنة لمصلحة روسيا والأسد إلى حد كبير؛ فالبيان يؤكد تسليم واشنطن دفة قيادة مسار الحل النهائي لموسكو، كما يصدر جيش النظام السوري على أنه القوة الشرعية الوحيدة للدولة السورية، كما فصل مسار وقف إطلاق النار عن المسار التفاوضي. ويضاف إلى ذلك أن التداخل ما بين النصرة وفصائل المعارضة في شمال سوريا سيعفي النظام عملياً من مسؤولية الخروقات المتعمدة للهدنة. وأخيراً تهدد الهدنة باندلاع حرب أهلية داخل فصائل المعارضة نفسها على خلفية الموقف من جبهة النصرة.

يجب على المعارضة أن تضغط حتى يراعي قرار وقف إطلاق النار هواجسها وإشكالاتها، كما يجب على كتائب المعارضة أن تحاول أن لا تخسر جبهاتها مع تنظيم الدولة تحت أي ظرف، فوفقاً للظروف الدولية الحالية، يعتبر قتال تنظيم الدولة الطريقة الوحيدة لكسب الشرعية الدولية، وخسارة المعارضة لهذه الجبهات يعني خسارتها لآخر منافذها على الشرعية الدولية.

أهالي إدلب وحلب ماذا يقولون عن الهدنة ؟

سمير كرم - إدلب

دخل اتفاق وقف العمليات العدائية في سوريا، الذي توسطت فيه الولايات المتحدة وروسيا حيز التنفيذ منتصف ليل الجمعة - السبت 27 فبراير الماضي، وشملت الهدنة عموم البلاد، باستثناء مناطق يتواجد فيها "تنظيم داعش" و"جبهة النصرة".

وتعتبر الهدنة بداية لمرحلة جديدة، تشمل إلى جانب وقف العمليات القتالية، السماح بوصول المساعدات إلى المناطق المحاصرة وإخراج المعتقلين والبدء بمرحلة المفاوضات بشأن عملية انتقال سياسي.

وتراقب الولايات المتحدة وروسيا وقف العمليات القتالية عن طريق مراكز في واشنطن وموسكو وعمان ومدينة اللاذقية السورية ومقر الأمم المتحدة في جنيف، فيما لاقت الهدنة قبولاً لدى المعارضة السورية بعد الوساطة الدولية.

وتنفس السوريون الصعداء بعد خمس سنوات من الحرب مع سريان الهدنة، فيما عادت المظاهرات السلمية إلى الأوساط الشعبية الثورية بكثافة، حيث سجّل ناشطون 104 نقطة تظاهر يوم الجمعة الماضي، في مشهدٍ هو الأول من نوعه منذ أشهر عدة.

عن الهدنة استطلعت مجلة "طلعنا عالحرية" آراء عدد من الشباب في الداخل السوري، (حلب وإدلب)، وتوجّهت إليهم بالأسئلة التالية:

1 - ما رأيك بالهدنة التي أقرَّتها الولايات المتحدة وروسيا في سوريا ؟

2 - آلا تعتقد أن الهدنة رغم كل المآخذ عليها تعتبر خطوة متقدمة في خِضَمِّ الصراع السوري؟

3 - هل يعوِّل النظام السوري وحلفاؤه على الحرب أكثر من الهدنة؟

4 - هل فرص نجاح الهدنة ضئيلة وهل ستؤدي إلى المزيد من العنف والعنف المضاد؟

الصحفي "عبد الوهاب عاصي" (حلب - إعزاز) أكد لـ"طلعنا عالحرية" أن الهدنة خفَّضت من منسوب العنف، وأعادت نشاط المظاهرات السلمية، لكنها تبقى منفعة جزئية للثورة يقابلها مصلحة أكبر للنظام السوري وأتباعه؛ لافتاً أن وقف القصف لا يشمل ما أسمتها موسكو المنطقة الخضراء، فلا يزال سلاحها الجوي يقصف مناطق محددة ضمن بنك أهدافها.

وأضاف عاصي أن النظام السوري يعول على الحرب خلال الهدنة، ضمن قواعدها المفروضة؛ مشيراً إلى نيّته التحرك من ريف اللاذقية "كنسبا" إلى جسر الشغور بريف إدلب، هذا من طرف. وكذلك الوصول للطبقة من خلال التقدم عبر دير حافر بحلب، وهلم جرّاً... بالتالي هناك مخطط حربي مؤطر بالهدنة تعمل عليه روسيا والنظام.

وعن نجاح الهدنة من عدمه أوضح عاصي أن ثمة فرص لفشلها، لوجود خلاف داخل المجموعة الدولية لدعم سوريا، فهناك الطرف الأوروبي ومعه التركي وبعض دول الخليج غير راضية بالحل الروسي – الأمريكي الحالي، لكنهم مجبرين للقبول به لقاء التهديد بالخطة (ب) أو مشروع الفدرالية.

الباحث والناشط "علي قسوم"(ريف إدلب- كفرسجنة) أكد أن الهدنة ربما إبرة مخدر، مضيفاً أنها الخيار الأفضل من المجتمع الدولي الذي لم يكن جدياً في تعاطيه مع الثورة، ونوَّه "قسوم" إلى أن الهدنة لكسب الوقت من قبل روسيا والنظام.

وأردف قائلاً إن ذلك من شأنه التحرك السلمي واستمرار المظاهرات، كما أوضح في الوقت ذاته أن الهدنة خطوة للحل السياسي والانتقال السلمي للسلطة، محذِّراً من تكرار العنف بدون ذلك.

ويوافقه الرأي "سالم المصطو "(مدينة إدلب - نازح من ريف حلب)، بقوله إن الهدنة قنبلة موقوتة، ومهددة بالإنفجار في أي لحظة. وطالب الجيش الحر بالالتزام بها، مؤكداً أنها الخيار الوحيد أمام الثورة حتى تحمي من تبقى من المدنيين، كما حذَّر من تكرار فصول المعاناة.

بدوره أكد الناشط الإعلامي "ياسين الأخرس" (ريف إدلب - كفرنبل) أن الهدنة هشة والكل يعلم أن الروس ونظام الأسد لن يلتزموا بها، لافتاً أنها محاولة لإنعاش الأخير المتفكك أمنياً وعسكرياً.

واعتبر "الأخرس" أن الحد من الصراعات في سوريا على حساب المعارضة المعتدلة وتحديداً الجيش الحر، أفرزت انعكاسات سلبية على الثورة، وذلك عقب سيطرة النظام على عدة مناطق قبل الهدنة بأيام.

ومضى بالقول أن النظام لا يهمه أمر المدنيين الذين جاءت الهدنة لأجلهم، كما يقول البعض، لافتاً أن الأيام القادمة ستشهد مزيداً من العنف من كافة الأطراف المتنازعة التي ترمم جبهاتها.

ويخالفه الرأي المُمِّرض"يونس العثمان" (ريف إدلب - كفر عويد)، والذي يرى أن الهدنة مشجعة حيث خففت كثيراً من القصف على الشعب السوري، ويراهن على استمرارها وبالتالي إيقاف نزيف الدم، رغم أن النظام السوري يواصل قصفه على حد قوله.

أما المُدرِّسَة "سهام أ.م" (ريف إدلب – معرة النعمان)، فتقول ببساطة : "قبل ما يبحثوا الثوار على أي نصر .. لازم يتذكروا المجازر يلي صارت بالمعرة وأريحا وإدلب، ما فيهن يوقفوا المجازر، وان شاء الله مع الهدنة تتوقف، أحسن ما ترجع ليال الشمال الحزينة ويموتوا الناس من طيران الأسد وروسيا، إصحوا بقى..."

من جانبه يرى "يوسف منديل" أحد عناصر الجيش الحر (ريف إدلب - معرة النعمان)، أن الهدنة في صالح النظام بعد استحواذه على مناطق شاسعة في الفترة الأخيرة، كان أهمها فتح الطرق لنبل والزهراء بريف حلب. وأشار إلى أن النظام لن يلتزم بالهدنة، رغم أن ذلك ليس في صالحه، بل إضعافٌ لدوره أمام الرأي العام العالمي الذي يراقب عن كثب تطورات الصراع في الداخل السوري.

استطاع السوريون إيصال صوتهم للمجتمع الدولي خلال فترة الهدنة، بعدة مظاهرات عبروا خلالها عن أصل القضية (الحرية والكرامة)، إلا أن دكتاتورية الأسد حرَّفت أنظارالمجتمع الدولي إلى ربيبه تنظيم داعش.

لكن السؤال ماذا بعد الهدنة، هل سنشهد دوامة عنف جديدة تلف المشهد السوري من جديد، أم أن ثمة تحركاً دولياً، أشار إليه السيِّد جون كيري وزير خارجية الولايات المتحدة بقوله؛ إن لدى واشنطن "خطة بديلة" جاهزة في حال لم تنجح الجهود المبذولة لإنشاء حكومة انتقالية في سوريا، في إشارة إلى شبح التقسيم، الأمر الذي نوَّهت إليه موسكو في صيغة الدولة الفيدرالية.

إضراب المعتقلين في سجن طرطوس المركزي

من مصدر خاص

أعلن المعتقلون السياسيون في سجن طرطوس اضراباً مفتوحاً عن الطعام حتى تحقيق مطالبهم المتمثلة بما يلي :

- إعادة النظر في أحكامهم ووضعهم أمام محكمة قضايا الإرهاب ومحكمة جنايات قضايا الإرهاب حيث تم إعادة تجريم معظمهم بتهم جديدة لمنعهم من الاستفادة من مرسوم العفو آيار – 2014 ، كما أنه تتم محاكمتهم بناء على ضبوط أمنية ملفقة أو بناء على أقوال منتزعة تحت التعذيب.
- مقابلة وزير الداخلية، لوقف الانتهاكات من قبل السجناء الجنائيين في سجن طرطوس، أو تحويلهم إلى سجون قريبة من أماكن سكن أهلهم.

حيث أن سجن طرطوس وقبل العام 2015 لم يكن فيه إلا عدد من المعتقلين السياسيين المتهمين بتهم تتعلق بالإرهاب، وكانوا معزولين في غرفة في الطابق الأرضي عن بقية نزلاء السجن، ولكن وفي بداية العام 2015 وتحديداً في الشهر الثاني (شباط) من العام 2015، قامت وزارة الداخلية - إدارة السجون - بتحويل حوالي 200 معتقل من المعتقلين الموجودين في سجن عدرا المركزي معظمهم من أبناء محافظتي دمشق وريفها بشكل تعسفي إلى سجن طرطوس المركزي، وتبع ذلك نقل تعسفي لمجموعة من المعتقلين من سجن حماة المركزي إلى سجن طرطوس على خلفية الاستعصاء الذي قام به المعتقلون، وفي نهاية العام 2015 وبداية عام 2016 تم تحويل دفعتين جديدتين إلى سجن طرطوس من سجن عدرا ولكنهما كانتا أقل عددا ومن المنقولين سجناء جنائيين أيضاً أي لم تقتصر على معتقلين سياسيين فقط.

(أسباب النقل المعلنة وجود اكتظاظ في السجن، ولكن الحقيقة أن إدارة السجن تخشى من تكتل السجناء المحكومين والموقوفين من أبناء المدينة الواحدة في سجن قريب من أماكن سكنهم ووجود معارفهم لذلك تعمدت نقل المعتقلين من أبناء دمشق وريفها حصراً خلال دفعات النقل التعسفي إلى سجون السويداء وحماة وطرطوس واللاذقية).

عانى المعتقلون المنقولون إلى سجن طرطوس تحديداً من ظروف معيشية صعبة للغاية تمثلت بما يلي:

- اكتظاظ شديد لأن العدد الإجمالي للمعتقلين المنقولين إضافة لنزلاء السجن بات يفوق القدرة الاستيعابية للسجن.
- سوء التهوية والإضاءة في الجناح الذي يتواجد به العدد الأكبر من المعتقلين السياسيين، خلاف الطابق العلوي الذي يحاول السجناء الجنائيين منع وجود المعتقلين السياسيين فيه ويستخدمون لذلك أساليب قذرة منها الاعتداء بالضرب أو الوشايات الكيدية لمفرزة الأمن السياسي في السجن.
- سوء وقلة الطعام المقدم من إدارة السجن.
- التضييق على زيارات الأهالي من قبل إدارة السجن، وعدم السماح ببعض الحاجيات الأساسية للمعتقل كالأغطية مثلاً .
- تدخل المفرزة التابعة للأمن السياسي بكل شاردة وواردة تتعلق بالمعتقلين السياسيين بحجة التهم الموجهة للمعتقلين السياسيين وهي تهم من قانون الإرهاب.
- معاملة السجناء الجنائيين ومحاولتهم إثارة الخلافات وافتعال المشاكل مع المعتقلين السياسيين وذلك على خلفيات طائفية وسياسية ومن الأمثلة على هذه الحالات :
- الفرز الطائفي في غرف السجن، حيث لا يتم توزيع المعتقلين السياسيين على غرف السجن إلا بعد موافقة السجناء الجنائيين ووفقاً لهواهم، ومن يدخل الغرفة من المعتقلين السياسيين ولا يرغب به الجنائيون لتدينه أو لمظهره أو لفقره يقومون بافتعال مشكلات معه والتضييق عليه حتى ينتقل من الغرفة طوعاً أو قسراً بالتواطؤ مع عناصر الشرطة.
- تمييز باستخدام الحصالات (الهواتف في السجن) لصالح الجنائيين حيث يتم تعيين مشرف على استخدامها من الجنائيين ويمنح الجنائيين الوقت الذي يرغبون به للاتصال على حساب السياسيين.
- تلفيق تهم جاهزة للمعتقلين السياسيين عند أقل تصرف يبدر من المعتقلين وأقل هذه التهم "شتم الرئيس "

كان لارتفاع وتيرة هذه التصرفات الأثر السيء على المعتقلين السياسيين وصحتهم ونفسيتهم حيث أنهم يعيشون بشكل دائم في جو من العنصرية السياسية والتمييز الطائفي، وأي معتقل منهم معرض في أي لحظة للاعتداء أو استدعائه للتحقيق معه في مفرزة الأمن السياسي، يضاف إلى ذلك عدم قدرة إدارة السجن وعناصر الشرطة على ضبط أمور السجناء الجنائيين خوفاً أو تواطؤاً، وزيادة سطوة السجناء الجنائيين بعد سجن المدعو " سليمان الأسد " ابن عم بشار الأسد المتهم بالقتل في سجن طرطوس ومشاركته في التضييق على المعتقلين السياسيين، الأمر الذي دفع بالمعتقلين السياسيين لمحاولة تحصيل حقوقهم وإيصال صوتهم باستخدام الاضراب عن الطعام حتى تحقيق مطالبهم التي تعتبر بسيطة ومحقة.

بدأ المعتقلون اضرابهم صباح يوم الثلاثاء 1-3-2016 ، ومرت الأمور بشكل اعتيادي، ولكن شهد اليوم الثاني ثلاثة حالات لافتعال مشاكل مع معتقلين سياسيين من قبل سليمان الأسد وشبيحته من السجناء الجنائيين في السجن والاعتداء على المعتقلين بالضرب، إضافة لبدء الاستدعاءات للمعتقلين السياسيين من قبل مفرزة التحقيق.

واليوم الجمعة يدخل المعتقلون في سجن طرطوس يومهم الرابع من الإضراب، وهم مصرون على مواصلة اضرابهم بالرغم من التعب الذي نالهم حتى تحقيق مطالبهم، وذلك أمام صمت إعلامنا الثوري وفي ظل عدم وجود وسائل اتصال غير الحصالات التي يشرف عليها السجناء الجنائيون وهم بذلك لا يستطيعون أن يوصلوا صوتهم وصدى اضرابهم.

أرض الكلام

ماهر مسعود

لم تفارق مخيلتي مشاهد فيلم "وداعاً لينين"، وأنا أرافق أمي المصابة باللوكيميا في مشفى البيروني في دمشق عام 2011. أمي التي كانت تعيش ألمها بصمت، وتراقب انطفاءها بصمت، رحلت في ذلك العام الذي بدأت فيه سوريا تنتفض، وتخرج عن صمتها.

في الفيلم، قام الأولاد بالمستحيل لكي يخفوا عن أمهم المصابة بمرض عُضال انهيار جدار برلين، وانهيار النظام الشيوعي الشمولي في ألمانيا الشرقية معه، فقد أرادوا أن ترحل أمهم دون أن ترى، أو تعرف، أن عالمها الذي كانت جزءاً عضوياً منه ينهار. أما نحن، أولاد الخوف، فقد كنّا نلعب مع أمنا لعبة الإخفاء المتبادل، كنا نخفي عنها، بطريقة تبدو ساذجة، طبيعة مرضها، وطبيعة ما يحدث في سوريا، وكانت تخفي عنّا أنها تعرف وتستشعر الأمر، كنّا نعرف وتعرف أن مرضها قاتل، وأن مرض سوريا بنظامها المتوحش مخيف كالسرطان. كانت تستمع ليلاً بوجل لصوت الرصاص من نافذة غرفتها في المشفى، الذي لا يعني سوى أن دمشق تحت الرصاص. هي تخفي مخاوفها ونحن نبادلها الإخفاء، لكن الأمل كان يعجن الخوف ليظهر إلى السطح، والموت كان هو الطريق، وهو المعبر إلى عالم آخر لم نكن لنعرف عنه شيئاً.

عندما رحلت أمي في الشهر التاسع عام 2011، لم تكن تعرف أني قد فُصلت من عملي، وأن رفاقي في العمل جازفوا بتهريبي من أيدي الأمن عندما جاؤوا للقبض عليّ في مكان عملي، ولم تكن تعرف أني كنت أخرج في المظاهرات في دمشق، ولا أني أكتب في الصحف اللبنانية ضد "امبراطورية الخوف" التي بدأت تتصدع في قلوبنا، ولا أني كنت مطلوباً في الوقت ذاته لخدمة الاحتياط للمشاركة في قتل السوريين، في أسوأ فرع أمني في سوريا: فرع المخابرات الجوية، وعند سهيل الحسن (صاحب فكرة البراميل المتفجرة، وطريقة الأرض المحروقة). ما زلت أذكر كيف كان يجمعنا أثناء الخدمة الإلزامية عام 2006، ويطلب منا معلومات عن مجموعة أحزاب "التجمع الوطني الديمقراطي"، ثم يوبخنا ويصرفنا لأننا "جامعيون حمير" لا نفيده بشيء ذي قيمة في خدمة الوطن المخابراتية. سهيل الحسن الذي كنا نسميّه تندّراً "ساسوكي"، نظراً لجسمه الرياضي النحيل، وحركاته البهلوانية المضحكة رغم كل ما فيها من جديّة، كانت كلمته لا تصبح اثنتين عند رئيس الفرع "جميل الحسن" صاحب نظرية قتل مليون سوري لأجل سيادة الرئيس، وقاتل "غياث مطر" أجمل أيقونات الثورة السلمية...

لكني لم ألتحق وقتها، ولم أخبر أمي بشيء.

هي رحلت عن هذا العالم، وأنا بكيت حتى فاضت روحي بطعم الفقد المرير، كنت طوال عمري أخشى من تلك اللحظة، وأرتعب من التفكير فيها. لكن، مع رحيلها، انتبهت إلى شعور غريب رافق الحزن، شعور بالتحرر من عبء الخوف من موتي الخاص. ربما كانت تلك آلية دفاعية لاواعية لأقاوم الألم، لا أعلم، لكن فكرة الاعتقال أو الموت كنت أخشاها سابقاً بشكل مضاعف، ليس لأني "أخجل من دمع أمي" فقط، كما عبّر يوماً محمود درويش، بل لأني أخشى من حسرتها الكبيرة، هي التي أشبعتها الحياة حسرات، لم يكن لها إلانا عزاء. في ما بعد، كانت تقتلني ألماً بشكل خاص قصص الأمهات السوريات اللاتي فقدن أولادهنّ في الحرب، ففي بلد مثل سوريا، حيث القهر الذكوري نظامٌ هرميٌّ يبدأ بالسلطة، ويمر بالدين، وينتهي بالمجتمع، كانت أمهات سوريا هنّ محطّ إسقاط القهر، ومركز الصبر المديد، وبالمحصلة مركز التعويض الدافئ والاحتضاني عن الخوف والاغتراب الذي يفرضه الاستبداد المنتشر في هواء البلد ومائه وترابه.

في سن العاشرة، شكاني مخبر صغير في المدرسة للمدير، وأعطاه رسالة مزيفة قال إني كتبتها لزميلتي، حبيبتي وقتها، ومعروف أن مدارس البعث كانت مصانع للمخبرين والوشاة الذين تُكافأ وشايتهم بأن يصبحوا عرفاء للصف. وعندما أرسل المدير خلفي إلى غرفة الإدارة للتحقيق، كان يهددني بالشرطة التي كانت للمصادفة فعلاً، موجودة في البلدة وتظهر من شباك الإدارة بشكل واضح، واعترفت بكل شيء أمام ضحك الأساتذة وخوفي، وبالفعل لم أعد إلى الكلام معها أبداً، لكنني تعلمت من وقتها أن الحب ذنب، وأنه مُراقب من السلطة، وأن الاعتراف ليس خلاصاً، بل وقوعاً في فخ الخضوع والخوف وانعدام القيمة، لذلك أصبحت السرّية عندي شكلاً من أشكال التمرد.. كل شيء كان سرياً في "سوريا الأسد": الأحزاب سرية، والحب سرّي، والقهر سرّي؛ هو تعاقد اجتماعي على الإخفاء، إخفاء الواقع وحجبه وإظهار آخر مغاير له. الواقع المحجوب كان هو الواقع المطلوب من السلطة دائماً الاعتراف به وعنه، والخبرة الأهم في سوريا أن الجميع مذنب حتى "يعترف" ويثبت براءته، الضمائر منهكة من حجم الكبت وحجم المراقبة الذاتية قبل الكلام وبعده وأثناءه. تلك الثقافة السريَّة الملعونة هي التي انفجرت عام 2011، وهي المارد الذي ما زال يستعصي على الإعادة إلى القمقم؛ رغم كل الحرب والقتل والتدمير، بعد خروجه العظيم.

ربما فشلنا يا أمي، وتكسّرت ثورتنا وحاصرها الظلام، وتشتتنا في بقاع الأرض، لكننا لن نعود إلى إمبراطورية الصمت القديمة. هل تتخيلين معي ما أصعب الكلام، وما أكبر أثمانه في عالم يريدنا أن نصمت؟ فأنت عرفت وخبرت جيداً معنى الصمت وقهره. أظنك حزينة، ولكني أسمع صوتك في داخلي ينادي: تكلموا!.

ظاهرة الإسلاموفوبيا البَيْنِيَّة أو الخوف الإسلامي من الإسلام!

يوسف المنجد

شاع مصطلح الإسلاموفوبيا في الغرب في ثمانينات القرن المنصرم كتعبير عن حالة خوف الغربيين من الإسلام وكعنوان للنشاطات التي تستهدف تخويفهم منه ، وبث كراهيته في نفوسهم. وقد شاع استخدامه بكثرة في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001.

لكن نشأة الإسلاموفوبيا كمصطلح وانتشاره في الغرب لا يعني أنه لم يكن له وجود داخل البلدان الإسلامية،بل لقد وُجِد فيها الكثير منه،غير أن الأمر كان محصورا ضمن نطاق ضيق يقتصر على بعض المثقفين والسياسيين، وخصوصا بعد حوادث الاغتيال التي طالت البعض منهم .

لكن التطور الجديد في ظاهرة الإسلاموفوبيا ،تمثل في شيوعها في أوساط المسلمين أنفسهم. فبالرغم من أن غالبية كبيرة منهم يمارسون شعائر دينهم،ويلتزمون تعاليمه،إلا أن ذلك لم يمنع تفشي الإسلاموفوبيا في صفوفهم.وبعد أن كانت نسبة كبيرة منهم يتوقون إلى نظام حكم إسلامي،يأتي بالحلول لمشكلاتهم ،انعكس الأمر،وباتت فكرة نظام الحكم الإسلامي تتسبب لهم بخوف يصل عند بعضهم حدَّ الرعب .

حدث هذا التحول،بعد أن عاين الناس نموذجا دمويا مشوَّها عن الدولة الإسلامية تمثل في (داعش) وغيرها من التنظيمات التي أرادت بناء نظام حكم إسلامي،فبدأت من السقف قبل القواعد،فكان الخوف بدل الأمن،والظلم بدل العدل،والكراهية بدل المحبة،والعبودية بدل الحرية،كنتيجة طبيعية لمخالفة السنن الاجتماعية.

لم يعد الخوف من الإسلام إذن يقتصر على الغرب،أو على فئات محدودة في بلاد المسلمين ،فقد شاع الخوف وسرى،وغدا هاجسا لدى الكثيرين،وظهرت لهذا المرض علامات وأعراض لم تكن تخطر في بال،فالانبهار بالغرب والنظر إليه باعتباره النموذج الحضاري الأمثل بات أقوى اليوم بأضعاف،وتسرب إلى فئات لم تكن ترى في الغرب إلا الاستعمار والاستغلال والتآمر والانحلال الخلقي والاجتماعي.وموجات اللجوء إلى دوله لا يمكن تفسيرها فقط بدافع النجاة من الحرب،أو الطمع بحياة رغدة مرفهة،بل إنها تحمل في تضاعيفها خوفا ونفورا من النموذج الإسلامي،واستعدادا لتقمص النموذج الحضاري الغربي بكل أبعاده.

والنفور من مظاهر الدين وشعائره،والشعور بالنقص والخجل من الانتماء إليه لدرجة وصلت بالبعض إلى الإلحاد،هو إلى تزايد مستمر بعد أن كان العكس هو الصحيح،إضافة إلى الكثير من المظاهر الأخرى التي تشي بتفاقم هذه الظاهرة.

ولا شك أن الصورة المرعبة للإسلام التي أرستها داعش وأخواتها،والتي أظهرته كجلاد قاس يطارد الناس ليسلبهم حرياتهم ،ويجبرهم على إتيان الفرائض والشعائر الدينية على الرغم منهم، كان لها الدور الأكبر في شيوع ظاهرة الإسلاموفوبيا البينيَّة كما قدمنا،غير أن ذلك وإن كان السبب المباشر والأبرز،إلا أنه لم يكن السبب الأوحد،بل إن هذا السبب ربما ليس سوى نتيجة لأسباب أخرى غير مباشرة سبقت وجوده وشكلت الأساس له.ولعل منها :

- عرض التدين الموروث من عهود الأمويين والعباسيين والعثمانيين على أنه الإسلام الصحيح ولا إسلام غيره دون ملاحظة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان لها أثر كبير في تكوينه الذي تمظهر به،ودون الأخذ بعين الاعتبار الطبيعة المتغيرة للمجتمعات،والطبيعة المرنة للإسلام التي تجعله قابلا للتعايش مع مختلف الظروف،ومناسباً لمختلف البيئات.فهذا الإصرار على تلك الصورة النمطية المتوارثة،جعل الناس لا يتصورن إمكانية وجود إسلام مختلف،فهو إما أن يكون بالصورة التي كان عليها في الماضي وإما فلا إسلام.

- وهذا الأمر هو نتيجة منطقية لتغييب دور العقل وتحريم التفكير النقدي في الموروث الثقافي(التدين) الذي اكتسب القداسة بالتقادم فصار هو الدين،وصارت أقوال مفكري التراث الذين كانوا - كما أشرنا - صنيعة الظروف التاريخية والسياسية التي وُجِدوا فيها ، صارت نصوصا تُبنى عليها الأحكام الشرعية،وصار فهمهم لنصوص الدين هو المسطرة التي لا يصح الإتيان بمخالفتها،فَحَبَست أقوالهم واجتهاداتهم النصوص الأصلية في ظروف تاريخية بعينها،وحجبت مكنوناتها،وأطَّرت كذلك العقل المسلم في صندوقها فلم يعد يرى الإسلام ويفهمه إلا من خلالها. ولذلك يدفعه إيمانه إلى العمل على إعادة إحيائها بشتى السبل،مع أنها في الأصل اجتهادات بشرية محكومة بما يطرأ على البشر من نقص وخطأ وتأثُّر بالظروف المحيطة وتواطؤ وغير ذلك،مما يعني أن فيها الكثير من الانحرافات عن جوهر الدين،واغتراب عن مقاصده وغاياته.وفي الجهة المقابلة جعلت هذا الصورة المتحجرة للدين بعضا من أولئك الذين هيأت لهم ظروفهم الانعتاق من سطوة التقليد،ومن ثم التفكير نقديا،ولكن بعيون ثقافية مغايرة؛جعلتهم ينفرون من الدين نفسه ويخافونه ويخوفون منه،ويرمونه بكل نقيصة،ويتهمونه بالوقوف خلف كل عبث وتخريب،وجهل وتخلف،دون أن يتمكن هذا البعض من الفرز بين التدين الذي تصح أوصافهم للدين على الكثير منه ،وبين الدين نفسه ،البريء من كل ذلك.

- ولا ننسى أخيرا أثر الإعلام بمختلف أنواعه،حين يعمل بلا ضمير ولا مسؤولية،فعن طريقه عرض المتطرفون أفلامهم المرعبة،وتهديداتهم المفزعة.وعن طريقه بث شيوخ الفتنة ردحهم الطائفي،وثقافة الكراهية لكل ما هو مختلف،وبواسطته قام دعاة يعيشون بيولوجيًا في عصرنا،وعقليا ومعرفيا في عصور سحيقة،بترسيخ صورة متحجرة للإسلام تضعه في مواجهة عدائية مع الحياة برمتها.وعن طريقه أيضا بثَّ المعادون للإسلام سموم كراهيتهم له،وعملوا على إلصاق كل ما هو قبيح به،وعلى السخرية من رموزه ومقدساته،ونسبوا له كل شرور العالم وآثامه،وصوروه من دونه فردوساً دانياً .

إن ظاهرة الإسلاموفوبيا بينيًا ، ظاهرة خطيرة، تفوق في خطورتها الإسلاموفوبيا غيريًا، لأنها تهدد ثقافة الأمة وهويتها في الجذور ،وما لم يتم التصدي لها بحركة ثقافية توعوية تجديدية نقدية،تفوقها قوة وسرعة واتساعا،فإنها ستلتهم هوية الأمة وشخصيتها،وستفاقم من تدهورنا ومن تبعيتنا على مختلف الأصعدة ،ولا نلومنَّ إلا أنفسنا .

في تحرير الشعوب.. هل يفشل الأنبياء؟

عماد العبار

التغيير في النفس البشرية عملية معقدة للغاية، ولينظر كلّ منّا إلى مدى الصعوبة الكامنة في تغيير عادة من العادات المهيمنة على حياتنا، وهي كثيرة، بعضها اخترناها بمحض الإرادة، في حين أنّ أكثرها لا نعرف كيف ومتى بدأنا اكتسابها والاعتياد عليها.. لنتأمل لبرهة في مدى المعاناة التي نشعر بها عند مواجهة فكرة من الأفكار التي توارثناها حيال أبسط الأمور في الحياة وليس أعقدها.. فإن كان التغيير على مستوى النفس صعباً إلى هذا الحد، فالتغيير على مستوى المجتمع إذاً مسألة لا تقارن من حيث صعوبتها، وبذلك يمكن أن نفهم حجم خيبات الأمل التي يعاني منها اليوم، كما في كل عصر، الداعون إلى إصلاح المجتمعات من خلال عملية تغيير سلمية أو بثورة جذرية على أنظمة وهياكل الفساد..

خيبات الأمل المصاحبة لأحلام التغيير ليست وليدة اليوم أو الأمس، بل لازمت الإنسان منذ بداية تأسيس أولى المجتمعات الإنسانية. التاريخ ينقل لنا الكثير من الإخفاقات التي عانت منها حركات الإصلاح. والنصوص الدينية قامت بدورها بتسجيل بعض هذه الإخفاقات وأعطتها قدراً كبيراً من الاهتمام، وفي ذلك دلالة على أنّ الكلام عن إخفاق حركات التغيير يحظى بمكانة نصوصية لا تقل عن المكانة التي يحظى بها نجاح بعض الحركات الأخرى، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على أنّ النجاح لا يمكن الوصول إليه ما لم تمرّ الحركات الإصلاحية، والثورية بطبيعة الحال، على أسباب الإخفاق، الوارد دوماً.

ولعلّ قصة بني إسرائيل من بين القصص التي شغلت حيّزاً كبيراً لم تشغله أي قصة أخرى في القرآن. وهي تحكي كما هو معلوم عن شعب عانى الكثير من الاضطهاد والجور، وسعى إلى الخلاص والتحرر، ولكن سلاسة الكلمة "التحرر" تعكرها، دوماً، وعورة الطريق الموصل إليها.. فبعد كل البراهين والبيّنات القاطعة التي قدمها موسى أمام قومه في مسيرة تحريرهم من خوفهم ومن سيطرة فرعون، وبعد أن كان بنو إسرائيل قد قطعوا الجزء الأكبر، والأصعب، من مسيرة الحريّة بدأ الحنين للعبودية يراود الشريحة الأكبر منهم، إلى أن طغى هذا الحنين، في غياب النبي موسى وعجز أخيه هارون، على نزعة التحرر ورجع بالواقع الجديد القهقرى..

فعلياً، لم يكن بنو إسرائيل على استعداد كامل للحرية.. لقد عانى هذا الشعب من آلام الاضطهاد في أبشع صورة له، لكنّ الألم قد لا يكون وحده كفيلاً بإنضاج الفهم السليم للحرية. الألم ينضج القابلية للثورة فحسب، ويجعل من صاحبه قادراً على الصراخ ومن ثمّ الانفجار في وجه مضطهديه، لكن ليس ثمّة ضمانة على أنّ الانفجار يكفي وحده للعبور نحو حالة أفضل..

يتعجل دعاة التغيير الأحداث في معظم الأحيان، هذا ما حدث مع بعض الأنبياء أيضاً، فقدرة بعض الأشخاص على الخلاص الفردي من وطأة العادة والفكرة السلبية قد يوقعهم في تضليل أنفسهم بالاعتقاد بأنّ الخلاص الجماعي يملك نفس الدرجة من السهولة، أو الصعوبة.. وهذا اعتقاد أبعد ما يكون عن الواقع، الذي هو عادة أعقد من ذلك بكثير.. فثمّة تعقيدات مركبة تحكم عملية التغيير في الجماعة، ولا يحيط بها التصور الفردي البسيط. هذه التعقيدات تحكمها قوانين مختلفة عن تلك التي تحكم التغيير الفردي، وهي قوانين لا تحابي ولا ترحم أحداً على الإطلاق، حتى ولو كان هذا الأحد بمنزلة نبي من أولي العزم من الرسل.. وفي حالة بني إسرائيل، التي هي حالة من البؤس المتراكم الذي كان يحتاج إلى نهضات متعاقبة لإحداث التغيير، لم يكن قرار النبي صائباً حين خطا خطوات أوسع تاركاً المجتمع بعيداً خلفه.. ظاناً بأنّ النكسة الفكرية مستبعدة بعد أن عبر بهم البحر.. قيل له: " وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَومِكَ يٰمُوسَىٰ"؛ كيف تركتهم وراءك ولم تكن معهم خطوة بخطوة في لحظات مصيرية كهذه؟!

قال: " هُمْ أُوْلاء عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ".. ولم يكن ثمّة شكّ في نوايا موسى، ولكنّ حسن النوايا لا يغير من حتمية ما هو كائن..

ألقى موسى الألواح المقدسة، وأخذ برأس أخيه يعنّفه على تراخيه مع الذين عادوا إلى ابتكار شكل جديد من أشكال العبودية. وينبغي الإشارة إلى أنّ بني إسرائيل لم يتعرضوا في ذلك التوقيت إلى أيّ مؤثرات أو تدخلات خارجية، فلا حروب ولا وصاية من أحد عليهم، بمعنى كانت مشكلتهم مع أنفسهم وحسب، ومع ذلك فشلوا في مواجهتهم الأولى مع ذواتهم بعد نجاتهم من فرعون.. وهم، بطبيعة الحال، لم يحققوا نجاحاً في الخلاص من استعباد فرعون لهم بدون تدخل إلهي في تفاصيل خارقة للعادة.. ويمكن اليوم فهم سبب حدوث تلك الخوارق، والتدخل الإلهي لإنقاذ شعب ما وتحريره من جلاده: وكأنّ القرآن يريد منا أن نؤمن بأنّ التحرير إن لم يكن مبنياً على مقومات داخلية فإنّه لن يفلح في تحقيق غايته النهائية.. لن يفلح، وإن زوّد الرسل بكل الأدوات الخارقة للعادة..

أماطت التداعيات الأخيرة لثورات المنطقة اللثام عن حقائق لم يأخذها دعاة التغيير في الحسبان، فلقد كشفت التصدعات التي تعرضت لها مجتمعات المنطقة، سيّما في سوريا، عن ضعف في مفاهيم التحرر عند شرائح واسعة من الناس.. لقد غرقت بعض الجماعات في مستنقع العصبيات القومية والطائفية التي تعود إلى مرحلة ما قبل المواطنة والدولة الحديثة، واستبدل كثير من الناس رموز الفساد السابقين برموز جديدة، وحل مستبدون جدد في حين أنّ المستبد الأول لم يرحل بعد.. وعدنا إلى السؤال الذي كان مطروحاً منذ البداية: هل نريد فعلاً التحرر من الاستبداد، أم أن العملية هي مجرّد تغيير أسماء؟!

النظام الذي أسقَطته الثورة

مصعب الحمادي

تزعجني الأصوات المثبّطة التي تنطلق لتقول إن الثورة ليست موجودة، وأننا إزاء مشهد من العبث الدموي والاقتتال الطائفي والحرب الأهلية. ويستفزني بعض دعاة الاستكانة بشتم "الحرية" كقيمة إنسانية لأن مناداة السوريين بها قد أدت لخراب بلدهم وتشريد أهلها. ويتفق الفريقان أن النظام قد انتصر. فالأسد ما يزال في سدة الحكم في سورية بكل طائفيته وعمالته وبطشه وجبروته، بينما تقطعت السبل بمواطني سورية في البرّ والبحر وهم يبحثون عن ملجئٍ من المحرقة التي تجري في بلدهم.

لكنني أرى خلاف ذلك تماماً. الثورة انتصرت والنظام سقط منذ أول صرخة وكل ما حصل بعد الشهور الأولى من انطلاق التظاهرات وحتى اليوم بعد خمس سنين هو مجرد تداعيات محلية وإقليمية ودولية لحقيقة سقوط نظام أداتيّ عميل، ومحاولة المتضررين الإقليميين والدوليين تطويق هذا النجاح وإبقاء النظام على قيد الحياة، حتى وإن عن طريق التنفس الاصطناعي.

عندما نفكر بسورية فنحن نفكر بذلك العمق الإنساني والحضاري الممتد لاثنتي عشرة ألف سنة. هذا العمق الذي قطعته عائلة طائفية رجعية حاقدة فكان لا بد من تصحيح المسار ببروز جيل شجاع مستعد لدفع التضحيات لرد الاعتبار لبلده وتاريخه، ووضع قطار الحضارة في سورية على السكة من جديد. إن هذا الجيل هو جيلنا نحن. نحن اليوم نموت ونُشرّد ونُقتَل ونُحاصَر ونجوع ويجتمع علينا شذاذ الآفاق من كل فجٍ عميق ليحاصرونا ويقتلونا. نحن الجسر الذي ستعبر عليه مئات الأجيال القادمة إلى العلا بعيداً عن الظلم والقمع والفساد حيث يرتقي شعب سورية من حضيض الطائفية إلى يفاع المواطنة؛ من جحيم الإقصاء إلى جنة المشاركة، ومن مرارة الإهانة إلى حلاوة الكرامة. إننا الجيل الذي صنع ثورةً سماها العالم "ثورة الكرامة" ويحق لنا أن نفتخر بصنيعنا ونرفع رؤوسنا لا أن نجلد ذواتنا ونتهيّب الارتدادات التي نجمت عن كبير أفعالنا.

نعم مات نظام الأسد الشمولي الطائفي القمعي الحاقد الفقير المتخلّف... مات ولم يبق إلا تشييع جثمانه. مات منذ أول صرخة ولم يبق مواطن سوري تعرض للإهانة على يد عنصر مخابرات إلا ونزل للشارع وصرخ بتحد "يلعن روحك يا حافظ". هذه الصرخة على فجاجتها هي رد اعتبار لكرامة ما برحت تُهدر لستين سنة حيث ماتت أجيال وأجيال حنَقاً دون أن تتمكن من ردها لبيت الأسد. نحن رددناها لهم. بضاعتهم رُدّت إليهم بفضل الثورة. واليوم يوصَف بشار الأسد من باب الاستهزاء بأنه مختار ركن الدين. فالرئيس الذي أباد والده مدينة حماه في الثمانينيات وأباد هو مئات البلدات والقرى في هذه الثورة لا يجرؤ على مغادرة الحي الذي يقيم فيه بالعاصمة دمشق. والثوار الذين يطوقونه من كل جانب بإمكانهم إيصال قذائف الهاون والصواريخ إلى أي مكانٍ يوجد فيه في دمشق. فهل النظام ما يزال قائماً فعلاً؟ هل هناك سوري على وجه الأرض اليوم يتخيّل أن عنصر الأمن ممكن أن يصفعه كفاً أمام زوجته هكذا بسهولة كما كان الوضع عبر ستين سنة؟ طبعاً لا يوجد. فكيف نقول إن الثورة لم تنجح؟ هل هناك واحد منا اليوم يلقّن أطفاله عشرات الكلمات والعبارت المحظورة ويهمس في أذنه "لا ترفع صوتك الجدران لها آذان"؟ هل هناك مثقف أو سياسي أو ناشط أو كاتب يستبطن ذلك الحمل الثقيل من الرقابة الداخلية على كلماته وآرائه خشية أن يُشحَط كالصرصور ويُلقى في أعمق قبو من أقبية التعذيب والتنكيل؟ هل تمكنت جبهة النصرة أو داعش أو غيرها من تنظيمات القاعدة التي زرعها اللاعبون في الشأن السوري من خنق الصوت الذي صاح "حرية" في آذار عام 2011؟ قد أوافق أن الصوت في كثيرٍ من المناطق قد صار همساً ومواربا ومتنحّياً مؤقتاً بعد أن أدرك النشطاء أن هذه التنظيمات هي حصان طروادة النظام في المناطق المحررة، لكن الصوت خرج والجوهرة التي تجمّعت فوقها الأوساخ ما تزال تلمع بقوة والسوريون الأحرار لا يخطئون لمعانها كلّ على قدر حظه من الانعتاق الذي بات يرفل فيه. إنني أزعم أن حتى تلك التنظيمات الطائفية البغيضة سواء السنية منها أم الشيعية هي فرصة نادرة في التاريخ لتجديد دماء الفكر عند السوريين. السوريون شهدوا أهوالاً وظواهر وهزات وزلازل جعلتهم يضعون أنفسهم وهوياتهم الفكرية والقومية والدينية تحت مبضع البحث. هم بصدد اكتشاف ذواتهم وتمحيص معتقداتهم ومساءلة تاريخهم وعلمائهم ومشايخهم ومفكريهم. كم مثقف كبير سقط مع النظام اليوم وصار رمزاً للعار بعد أن اعتقد طويلاً أنه منارةً للفكر؟ أليس هذا التطور وحده ثورة كبرى؟ هل حصل في التاريخ أن تحولت كوكبة من المفكرين والشعراء والفنانين إلى زمرة من الموتورين الناعقين فانحطوا في نظر شعوبهم لأنهم وقفوا مع الظالم وانحازوا لصاحب السلطان؟

الثورة السورية أهانت نظام الأسد وأجرت له عملية خصاء مؤلمة. والسوريون أدركوا ثأرهم من الظالم كلّ على طريقته.

الثورة انتصرت والصنم انهار والنظام سقط في الأرض وفي السماء. أما قضية تشكّل الدولة الجديدة فهي مسألة وقت.. ليس إلا.

مصدر الصورة انترنت

يوميات ياسمين (4)

سلام الغوطاني

جدارٌ من الألوان كان يفصلني عن وجهي، ويدفعني للنظر خلف المرآة كيما أراه. ما كان تبرجاً ما فعلوه، بل هو أقرب إلى إعادة رسمي كما يريدون وأظن أنهم نجحوا! لم أعد أذكر من ألبسني ثوب الزفاف، لكن ما أتذكره أنني ضحكت بطريقة غريبة لأول مرة منذ يومين، لم يكن الفستان على مقاسي فقد فُصّل للعروس السابقة التي هي أضخم مني، أخرجوني بالقوة الى بهو الصالة المكتظة بالنساء، ما رأيته كان وجوهاً متشابهةً متهامسةً، يعلوها كذلك المُبالغ فيه من الألوان، تيّقنت حينها أن هذه المبالغة هي محاولة لطمس الرمادي في حياتنا، اللون الحقيقي الذي نعيش.

نعم، الكثير من الأضواء والألوان هي تعبيرات الفرح البديل عن فرحنا المسروق من اعتقال أرواحنا، بعض همسهم كان يشي باستغراب صغر سنّي ووجهي الطفولي، وبعضه الآخر استهزاءً وسخريةً تخص جسدي الصغير الساكن داخل الفستان، ما طغى على غربتي وارتجافي من البرد مشهد استنفار النسوة لقدوم العريس، التغطية السريعة والمحمومة بالحجاب والمالطو خوفاً من اعتداء عينيه على أجسادهنّ، حركاتهن الانفعالية كانت تفضح اتحاد رغبة التغطية برغبة التعرّي وأنهما من نفس النبع، النبع الملوّث بظلمة وحوش الرغبات وتحوّلاتها الوقورة.

دخل العريس الذي هو عريسي بهو الصالة، كنت أول مرة أراه منذ الطفولة، ملامحه ذاتها مع زيادة لابأس بها بالحجم، لوهلة أحسست أنه مثلي مجبراً، على وقع الطبول والأهازيج زفوني إلى منزل والد العريس كأنني أشاهد فيلماً عن أسرى الحرب، وصعدوا بي إلى غرفة تسمّرت قدماي على بابها رافضةً الدخول، سمعتُ ترغيباً وتهنئةً وتوبيخاً، أمسك محمد بيدي وحاول إدخالي، لكني لم أتزحزح من مكاني، جاء عمّي الأكبر سنّاً "أبو عمر" وبلهجةٍ حازمة قال لي: "يلّا يا بنت لا تفضحينا، عيب يلا دخلي مع زوجك" وجرّني إلى الداخل.

لوحة للفنان ديلاور عمر بعنوان "قصة لاجئة"

على صوت الأغاني أغلق محمد الباب، كنت أرتجف كدجاجةٍ مذبوحة، أحسست أن قدماي لا تحملاني، تعثّرتُ ووقعتُ على الأرض، ساعدني محمد على النهوض وأجلسني بجانبه على السرير، و صار ينظرُ إليّ، وينتظر، وأنا لاأدري ماذا ينتظر، زمن انتظاره أنهاهُ صوته المفاجئ لي: "يلا بدلي ملابسك ياسمين". الاستغراب والخوف تناوباني و أنا أحدّقُ في عينيه، وسؤالٌ يخترق رأسي العاجز عن التفكير، فكرة الزواج بكاملها لم تخطر لي يوماً، والآن كيف أصبحت زوجة؟!

"يلا ياسمين شو بكي، بدلي أواعيكي، الناس عبتستنانا برا، ما بنا نتأخر عليهن"، بنـزق جارف بدأت بنـزع الدبابيس عن شعري ورميها على الأرض، صامتةً و محدِّقةً محمد بعيني "ليش الناس عبتستنا، شو بدهن مني بعد"؟! بعد أن نكشت شعري، رمقني محمد بنظرة تائهة و خرج من الغرفة، عندها لاحت لنفسي الصغيرة بسمةٌ بريئة بأن كلّ هذا سينتهي.

دقائقُ معدودة وفُتح الباب بعنف يتقصّدُ إرهابي، كانتا أمّي و عمتي، مَعَ صوتهما العالي أدركتُ أنّي لا أعني لهما شيئاً، صراخ أمّي لن أنساه ما حييت: "أنتي يا بنت بدك توطي راسنا و راس أبوكي"! وانهالت عليّ بالضرب، لولا أن عمتي حالت بيننا واستطاعت تخليصي وهمست بصوتٍ خافت: "يلا حبيبتي لا تكوني غبية، ساوي شو بقلك محمد وكوني طيبة ومطيعة معو، يلا ياسمين خلي هاليوم يمر على خير".

استجابةً لإيمائي اليائس لهما بالموافقة، غادرتاني، حملٌ ثقيلٌ أرهقني رافقهما، شعرت أنني بدأتُ أفقد وعيي وأمسكني عن ذلك إدراكي بأن ما يحدث ليس حلماً بل واقعي أنا، لم أفقه شيئاً مما قالتاه "وطي راس أبي"، "وما كون غبية"، يومها لم أكن أعرف أن صك براءتي و انتصار محمد برجولته تجمعهما "خرقة" قماش عليها بقعة دماء مني، وأن الاحتفالات تبدأ بعد خروج محمد حاملاً علم رجولته وعفتي.

عاد محمد مبتسماً، وبحنانٍ غلّف صوته: "كثير عادي تكوني هيك، بدي تثقي فيّ، هالشغلة ما رح تكون صعبة"، اقترب مني وجلس بجانبي ممسكاً بيدي: "إهدي، إهدي ، ليش عبترجفي، لا تخافي، استرخي، خوفك وتوترك بصعب شغلتنا عليي وعليكي".

تلّمس شعري وضمّني إليه، رويداً رويداً تسرّب الهدوء إلى كياني و شعرت بالدفء: "لا تخافي، إهدي". وانتهى الأمرُ بسماعي صوت إطلاق النار احتفالاً بدمائي على "الخرقة " القماشية، وعلت زغاريد النساء وأنا مستلقيةٌ أبحث عن نومي. خطٌ واهٍ بين جفني أظهرَ وجهُ أمي الذي تغيّر "مبروك بنتي حبيبة قلبي"، عجزت عن الرد، أغمضت عيني وكأنني لم أنم منذ ألف عام، استسلمتُ و أسلمتُ جسدي و روحي لراحةٍ غمرتني حتى الصباح حين استيقظت على صوت محمد المستلقي بجانبي: "صباح الخير يا عروس".

..... يتبع في العدد القادم

عمالة الأطفال، بين الحاجة والمخاطر

وائل موسى

تشكل عمالة الأطفال جزءاً أساسياً من أزمات الحروب، حيث يصعب تأمين احتياجات العائلة، وغالباً ما يفقد عدد كبير من الأطفال أحد أبويه أو كلاهما لأسباب عديدة، خروج الرجال نحو ساحات القتال، تشتت العائلة، فقدان حياة أو فقدان القدرة على الحركة نتيجة الإصابات، كلها عوامل متوفرة في الحرب مما يضطر الأطفال للعمل لسد احتياجات العائلة.

رغم تحذيرات منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) من أن عمالة الأطفال السوريين وصلت إلى مستويات خطيرة، ورغم دخول الثورة السورية عامها السادس إلا أن برامج الدعم المخصصة للأطفال لم تستطع حتى الآن استيعاب الأطفال السوريين المتضررين من الحرب سواء كان ذلك ضمن سوريا أو في دول الجوار .

حركة النزوح داخل سوريا وخارجها أفرزت حالة احتياج كبير للعائلات نتيجة فقدانهم لكافة ممتلكاتهم وباتوا بحاجة لكل شيء، ونتيجة التغيرات الاقتصادية على السوريين، سواء داخل سوريا بفعل تغييرات اقتصادية في الأسعار وفقدان المواد، أو خارجها بفعل اختلاف الجو العام لطبيعة التعاملات المالية من أجور أماكن الإقامة وفواتير الخدمات وأسعار السلع الأساسية وغيرها، بات من الصعب على فرد أن يعيل أسرة، وحتى في حال وجود رب الأسرة كثير ما يضطر الأطفال للعمل لمساعدة العائلة في تأمين احتياجاتهم، ويعمل الأطفال لقاء مبالغ مادية بسيطة ضمن ظروف صعبة مما يعرضهم للعديد من المخاطر، بدءً من حرمانهم من فرص التعليم وليس انتهاء بالاعتداءات التي تواجههم أثناء تواجدهم في أماكن بعيدة عن رعاية الأهل.

بحسب إحصائيات مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية للأمم المتحدة، فإن ما يزيد عن 12.2 مليون سوري بحاجة للمساعدات الإنسانية، ويقدر عدد الأطفال بينهم ب 5.6 مليون طفل، وتعتبر أزمة النزوح السوري هي الأكبر في العالم مع 7.6 مليون نازح وحوالي 4 ملايين لاجئ مسجل في دول الجوار، 4.8 مليون شخص بحاجة للمساعدة الإنسانية في المناطق التي يصعب الوصول إليها ضمن المناطق المحاصرة.

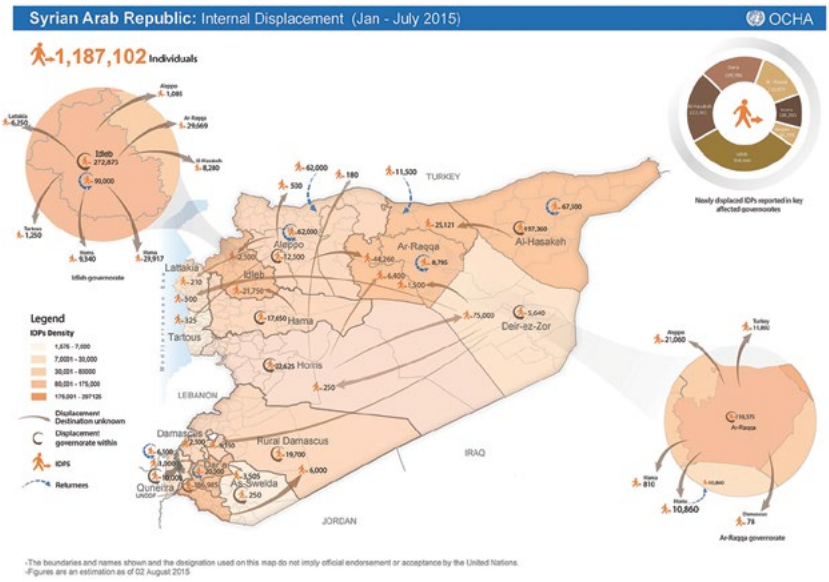

صورة من مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في سوريا توضح خريطة تنقل النازحين في سوريا منتصف عام 2015

ربع مدارس الأطفال تضررت، إضافة لاستخدام الكثير من المدارس لأغراض مختلفة، ومع حركة النزوح الكبيرة وحالة عدم الاستقرار، يكاد يكون من الصعب التحاق الأطفال في المدارس نتيجة التنقل المتكرر وخصوصاً بالنسبة للنازحين داخلياً في المناطق الساخنة، وقد ورد في الخطة الاستراتيجية للاستجابة الإنسانية لعام 2015 أن 9.8 مليون نسمة يعانون من انعدام الأمن الغذائي، وبحسب اليونيسيف فإن (770 ألف طفل استفاد من شكل من أشكال التعليم)، وبحسب تعبيرهم هذا، فإن ما لا يزيد عن 13.75% من الأطفال السوريين المعلن عن حاجتهم للمساعدات الإنسانية هم فقط من حصل على بعض أشكال التعليم، وبهذا تكون نسبة الأطفال غير المستفيدين من أي مساعدة للتعليم هم الغالبية العظمى من الأطفال، وهذه النسبة تعيش في ظروف معقدة، قد تدفعهم غالباً نحو سوق العمل.

في أسوأ الأحوال، ونتيجة لظروف استثنائية، قد يعتبر عمل الأطفال ضمن بعض المهن مرحلة أشبه بالتعليم، حيث يكتسب الأطفال العاملين خبرة في الورشات والمصانع والأسواق، ورغم المخاطر المحدقة بهم إلا أنها تكاد تكون من أقل المخاطر إذ ما قارناها مع استغلال الأطفال لتجنيدهم وتشغيلهم في أعمال خطيرة أو غير شرعية.

في المناطق المحاصرة ينشط العديد من الأطفال في أعمال التهريب ما بين القوات على طرفي النزاع، ويضطر هؤلاء الأطفال إلى العبور مع البضائع ضمن مناطق خاضعة لرقابة قناصين، عدد كبير من الأطفال لقى حتفه أثناء تهريبه لربطة خبز في مناطق مثل مخيم الوافدين على أطراف مدينة دوما، في المناطق الشمالية وعلى الحدود السورية التركية، يشارك العديد من الأطفال في أعمال التهريب، وغالباً ما يتم الاعتماد على الأطفال لتهريب الحبوب والمهدئات وسجائر القنبز والحشيش، وتمتد المخاطر إلى خارج سوريا، حيث أشرنا في مقالة سابقة (تجارة اللاجئين باللاجئين في تركيا) إلى تقرير صادر عن وكالة الشرطة الأوروبية، يتحدث عن اختفاء أكثر من 10 آلاف طفل سوري أثناء انتقالهم إلى أوروبا دون مرافقة ذويهم.

عمالة الأطفال تهدد جيلاً كاملاً نحن في أشد الحاجة إلى تأهيله وتعليمه ليبني الوطن المستقبلي، حالة العجز بات من الصعب تداركها دون توحيد للجهود من الجميع، وفي حين تهتم حكومات العالم بشكل مكثف بما يسمى الحرب على الإرهاب، نجد أن مئات آلاف الأطفال يعيشون حياة مليئة بالإرهاب الاجتماعي والاقتصادي، ولا يجد من التعليم سوى ما يكتسبه من متابعة أخبار الحرب على وسائل التواصل الاجتماعية.

خمسة ملايين طفل سوري نعلق آمالنا عليهم ليكونوا بناة سوريا المستقبل.

نشرة اقتصادية

طلعنا عالحرية - القسم الاقتصادي

اهم المستجدات التي تهم السوريين في الشتات والداخل

بنك كويت ترك يمدد المهلة للسوريين

أعلن البنك التركي "كويت ترك" في نهاية عام 2015 عن توقف فتح حسابات بنكية للسوريين بدون وجود إقامة رسمية وجاء هذا الاجراء بعد الهجمات الإرهابية في باريس مما دفعه للتوقف عن التسهيلات في فتح الحسابات للسوريين، أما أصحاب الحسابات المفتوحة مسبقاً فقد تم تحديد مهلة حتى تاريخ 18/02/2016 ليتمكن أصحاب الحسابات من توثيق إقاماتهم الرسمية وإلا سيتم تجميد العمليات المالية، ومع انقضاء المهلة المحددة في ظل صعوبة تحصيل الإقامة الرسمية، قمنا بالتواصل هاتفياً مع قسم خدمة الزبائن بعد انقضاء المهلة المحددة مسبقاً بيومين للسؤال عن وضع الحسابات المفتوحة حالياً، وقال لنا الموظف أن إدارة البنك قررت تمديد المهلة حتى الشهر السابع من عام 2016، وحتى

تاريخ المهلة الجديدة ما يزال متاح لأصحاب الحسابات الاستفادة من كافة خدمات البنك، مع التأكيد على ضرورة تحصيل إقامة رسمية، ويواجه اللاجئون السوريين في تركيا أزمة حقيقية في تحصيل أوراق رسمية بسبب صعوبة الحصول على جواز سفر سوري أو تجديده إضافة لإصرار الحكومة التركية في اعتبار السوريين ضيوفاً لا لاجئين مما قلص الآمال في إيجاد حلول لمشاكل الأوراق الرسمية مما يعرقل الكثير من أعمالهم ويسبب المزيد من التراجع في أوضاعهم الاقتصادية.

تغيير في مواقع السيطرة مترافق مع حملة تعفيش (سرقة) جديدة.

تغيرت خلال الأسبوعين الماضيين خريطة المواقع التي تسيطر عليها القوات العسكرية في سوريا، تقدمت قوات سوريا الديمقراطية ضمن بعض من مناطق ريف حلب الشمالية بمساندة جوية روسية عنيفة ضد قوات الجيش السوري الحر.

وتلت بعد هذه الحملة العسكرية حملة تعفيش (سرقة) للممتلكات العامة والخاصة، وتناقل عدد من الناشطين اخباراً عن سرقة مولدات الطاقة وتجهيزات منزلية إضافة إلى أخبار حول نقل كافة محتويات مستودع تخزين القمح التابع لوحدة تنسيق الدعم، ألف طن من القمح بالإضافة إلى تجهيزات المطاحن والأفران تم سرقتها ونقلها بحسب ناشطين، إلا أن وحدة تنسيق الدعم لم تصدر أي بيان بهذا الخصوص.

بات من المتعارف عليه ان كل حملة عسكرية يرافقها حملة سرقة، وقد أطلق السوريين على هذه الحالة عبارة "تعفيش" لأنها غالباً ما تشمل مقتنيات المنازل الخاصة، وبرزت هذه الحالة بشكل متلازم مع الحملات العسكرية التي تشنها عصابات الأسد على مناطق المعارضة، وباتت هذه الحالة شبه ملازمة لقوات حماية الشعب مؤخراً، أما حملات المعارضة فهي على الرغم من كونها تساهم في السيطرة على العديد من الممتلكات العامة إلا أنها لا تشمل عادة الممتلكات الخاصة للمنازل مما يعفيها من صفة التعفيش.

استيراد من مصر لسد الفجوة

بحسب رئيس اتحاد غرفة الزراعة وبالتنسيق مع وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية، تم بدء استيراد 25 ألف طن من البطاطا المالحة من مصر لسد الفجوة الحاصلة في انخفاض الإنتاج المحلي، وقد سمحت وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية باستيراد البطاطا من مصر تحديداً، وقد وصل سعر البطاطا إلى 250 ليرة سورية ومن المتوقع أن ينخفض السعر إلى 150 ليرة سورية تقريباً، وقد شهدت الأسواق مؤخراً ارتفاعاً مفاجئاً في أسعار الدجاج والبيض وقد وصل سعر صحن البيض إلى 1000 ليرة سورية، ويعود ارتفاع الأسعار لفقدان عبوات تعبئة البيض بسبب توقف العديد من المنتجين المحليين بحسب مستشار اتحاد غرفة الزراعة السورية والخبير في تربية الدواجن، كما أن لتراجع الإنتاج وصعوبة التنقل وارتفاع تكاليف الإنتاج أثر بالغ الأهمية في ارتفاع الأسعار، وقد بات العديد من السوريين في دمشق يسخرون من ارتفاع الأسعار بشكل جنوني، فقد باتت دعوة الأهل والأصدقاء لتناول وجبة من المقالي تعتبر عزيمة فاخرة نظراً لتكاليفها، أما البيض فلم يعد من أساسيات الإفطار.

لغةُ الحلم

فادي جومر

بعيدًا عن الفكر النقدي للقصيدة المكتوبة بالمحكي، وعن تحفّظي الشديد للمعالجة النقدية لتجربة تمتد لثلاثة قرون على الأقل، بشكلها الراهن، وميلي لدراسة كل نصٍّ على حدى، أو دراسة تجربة شاعر بعينه في أحسن الأحوال ريثما يتشكل المخزون النقدي الكافي، الذي لم يبدأ تشكّله بعد، بما يسمح بدراسات نقديّة حقيقية. وهذا مجال له أهله وأخصائيوه.

بعيدًا عن كلّ ما سبق، يواجه تقييم النص الشعري المكتوب باللغة المحكيّة، ثلاث إشكاليات فكريّة مبدئيّة أكثر منها "نقديّة"، قد يكون حسمها ضروريًّا قبل البدء بمشروع نقدي يفي هذا الجنس الأدبيّ حقّه.

- في تعريف اللهجة المحكيّة:

تبدو الأسس التي يعتمدها تصنيف النصوص غامضةً بالنسبة إلى، فاللهجة المحكيّة هي نتاج تطور طبيعي، وهي ليست ظاهرةً طارئةً على العربيّة أو سواها. الأصل في اللغة – أيّ لغة – هو النطق، وقد ساد عند العرب عرفٌ بعد اختلاطهم بالشعوب المجاورة هو إرسال أبنائهم إلى القبائل التي ظلّت بعيدة عن المدن ومراكز الاختلاط بالعجم، ليحكوا مع أبنائها، وليأخذوا عنهم النطق الصحيح والقواعد الدقيقة للغة، إذ كانت الفصاحة من معايير التقييم العامة للإنسان في ذلك الزمان.

وتطور اللغة عمومًا يتكئ على ما "يُحكى" منها، ولاسيما عند العرب، فنتاجهم اللغوي ظلّ قرونًا مرهونًا بالشعر، الشعر الذي "يُحكى" أو "يُروى". ولم تظهر المؤلفات المكتوبة إلّا في فترةٍ متأخّرة نسبيًّا مقارنةً بالشعر "المحكيّ".

بالعودة إلى أسس المقارنة لتمييز المحكي عن غيره من النصوص، تظهر أسئلة ملحّة لا بد لها من إجابات –لا أزعم أنّي أملكها– لوضع قواعد علمية للتمييز، ومن ثمّ النقد، ولعلّ أهمها:

تطوّر اللغة: مفرداتٍ، وصورًا، وتعابيرَ، ومجازات: هل هو وَقفٌ على فرعٍ واحد منها؟ هل من المنطق اعتبار الفتح الذي حققّه أبو تمام مثلاً، وتلاه المتنبي، في استخدام المفردات والمجازات، نصّاً "محكيًّا" مقارنةً بامرئ القيس أو النابغة؟ وعليه أبني: أتكون اللغة التي استخدمها السيّاب، وكلّ من جاء بعده وأخذ من منهله، مجرّد لغةٍ "محكيّة" مقارنةً بأبي تمام والمتنبي؟

- اللغة أداة أم معيار؟

هل من المنطق تقييم المنتَج الإبداعي أو حتى غير الإبداعي، اعتمادًا على الأداة المستخدمة في إنتاجه؟ أيعقل أن نسأل رسامًا عن نوع الريشة، والألوان، والورق أو القماش، وغيرها من الأدوات التي استخدمها في إنتاج لوحته لتقيّم جمالها؟ أو لتقرر إن كانت لوحةً من أصله؟

أو أن تسأل موسيقيًّا عن نوع الخشب المستخدم في صنع آلته، لتقرر إن كانت المقطوعة التي ألّفها موسيقا أو مجرد ضجيج؟

أرى أن من السذاجة بمكان، تقييم القصيدة، اعتمادًا على اللغة المستعملة في رسم صورها، وأخيلتها، وبناء موسيقاها، وإيصال روحها بدل التركيز على الصور، والأخيلة، والموسيقا والروح ذاتها. فالاعتماد على اللغة للبدء بالتقييم، لا يقل سطحيّة عن الاعتماد على شكل الآلة الموسيقيّة في تقييم جمال مقطوعةٍ ما.

- القنزعة*

يخترع بعض "المثقفين" ألقابًا، وأوصافًا، للقصيدة المحكية، محاولين جهدهم حرمانها من صفة: الشعر، مختلقين مفرداتٍ أقرب للعنصرية كـ "النظم الشعبي" وما شابهَ دون أي أسس نقديّة أو علميّة في التوصيف، أو يقعون في الخلط المرعب المغرق في الجهل مطلقين وصف "الزجل" على كلِ ما يُقال بغير الفصحى، ولعلهم لم يسمعوا زجلًا في حياتهم، إذ إن للزجل أوزانًا، وروحًا، مميزة لا يخطئها إلّا من لم يكلف نفسه يومًا عناء سماعه.

ولعل أهم أسباب هذه "القنزعة" هي افتقار النخب إلى الانتماء الحقيقي، فهم في نهاية المطاف أبناء هذه "الشعوب"، إلّا أنّ المسافة بينهم وبين أهلهم، تغدو أبعد كل لحظة، فهم قلّما يكتبون عنهم، أو لهم، أو بأصواتهم وأرواحهم. المتعبون لا يعرفون البنفسج في القصائد، فلون البنفسج الذي رسخ في أعينهم هو اللون "النيلّي" للجلد بعد الضرب.

وإن حاول بعض هؤلاء الـ "بعض" تصنّع الاقتراب من الناس سواءً بالثرثرة عن أوجاعهم، أو بطرح القضايا الإشكالية في تحديد الهوية والانتماء والمستقبل: بما يوافق الميول الشعبية المتوترة المتحفّزة العدوانية نتيجة السحق الديكتاتوري بالتواطؤ مع النخب لكل روح "شعبية"، رغم كلّ هذا التكلّف، تسقط الأقنعة كلها حين يصل الأمر إلى ممتلكات المثقف الخاصة: الشعر والأغنية والمسرح والموسيقا، وكل وجوه الإبداع. فهذه مملكته التي لا يسمح لـ "الشعب والشعبيين" بالاقتراب منها، هو يحب الناس، لكن لبيقوا بعيدًا عن الإبداع، هو يحبهم كمقتنيات في (فترينة) ورثها من جدته. هم التحف اللطيفة التي يعرضها على زواره "المثقفين" أصحاب المشاريع الحقيقية، كما يعرض مكحلاً من الفضة، أو "جرن الكبّة".

كيف يستقيم ادعاء الانتماء لشعب، مع تهميش أداة ذات الشعب الأولى في التعبير عن روحه؟

كيف يستقيم ادعاء الانبهار بشعب، لا تبهرنا أغنياته؟

أكانت أهازيج جدّاتنا التي دفّأت أرواحنا، وحمّلتنا قيم الصفاء مجرّد: "نظم شعبي"؟

قد يطول البحث في "سيكولوجيا القنزعة" وقد يودي إلى أماكن تورث العداء وهذا ما لا أحبه، ولكني ختامًا، أوجز فأقول: أنا أحلمُ باللغة المحكية، ولغةٌ تصلح للحلم، هي لغةٌ أكبر من كونها مجرد لغة "صالحة للشعر" بلا جدال.

---

*القنزعة: مصطلح شعبي يُقال لمن يبالغ في غروره واستخفافه بالناس، مع مسحة من التصنع الأجوف. لم أجد له معادلاً في العربية "الفصحى".

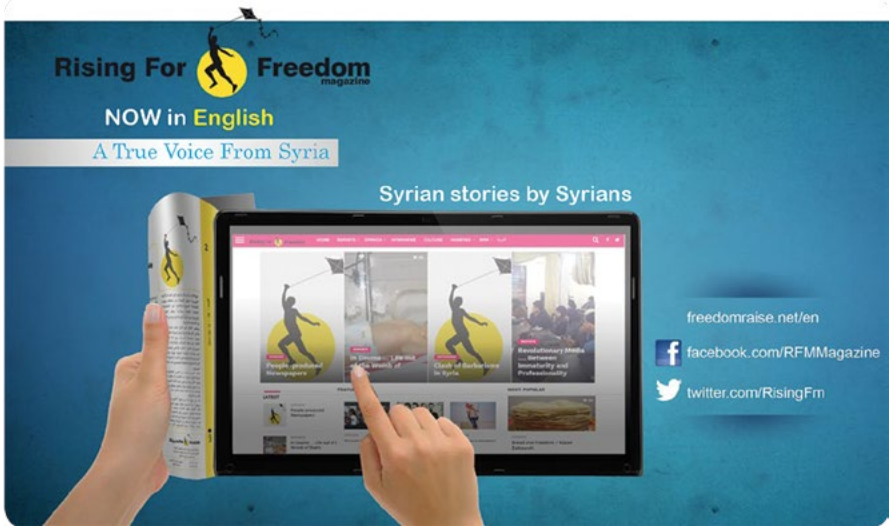

نشرة ثقافية
سوريون يحصدون جوائز ويحققون نجاحات

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

"محاصر مثلي" فيلم جديد لهالة عبد الله عن فاروق مردم بك

أعلنت المخرجة السورية هالة عبد الله عن فيلمها الجديد "محاصر مثلي" الذي يحكي قصة الكاتب والمؤرخ السوري فاروق مردم بيك المولود في دمشق 1944، والذي تخرج من كلية الحقوق 1965، كرس مردم بيك حياته لتعزيز الثقافة العربية في أوروبا، وعمل مستشارًا لمعهد العالم العربي في باريس، ويشرف على سلسلة سندباد منذ 1995 في دار نشر أكت سود. نشر بالفرنسية بالاشتراك مع سمير قصير كتابًا بعنوان "مسالك بين باريس والقدس، فرنسا والصراع العربي-الإسرائيلي، وبالاشتراك مع إلياس صنبر "أن تكون عربيًا" . الفيلم الذي تم اختياره للمشاركة في المسابقة الدولية الرسمية لمهرجان سينما الواقع في باريس، سيتم عرضه الأول في 2016-3-18.

سوريون في جائزة الشارقة للإبداع العربي

أعلنت جائزة الشارقة للإبداع العربي (الإصدار الأول) نتائج الدورة التاسعة عشرة (2015-2016)، وذكر بيان النتائج أن المخطوطات التي تقدمت للمسابقة كانت من 17 دولة عربية، أوّلها مصر (82) مشاركة، تليها سوريا (51) ثم الجزائر ثالثًا. وفاز بالمركز الأول في جائزة النقد الكاتب السوري محمد طه العثمان عن دراسته (البعد الثاني/ قراءة في آفاق الشعرية العربية)، وحازت مشاركات السوريين الأخرى على تنويه لجنة التحكيم في المجالات:

الشعر: مجموعة (خائف كشرفة في الحرب) للشاعر السوري حيدر محمد هوري.

القصة القصيرة: مجموعة (دموع الزنزانة رقم 23) للكاتب السوري نورس إبراهيم

لرواية (أرواح برائحة الغارديني) للكاتب السوري محمد سامر حلو

أدب الطفل: مجموعة (الصياد) للكاتبة السورية دلال محمد فاضل، ومجموعة (دارين والكوكب الحزين) للكاتب السوري مصطفى محمد عبد الفتاح.

حارث مهيدي ووسيم مقداد في غازي عنتاب

تصوير أسامة عزو

أقام الموسيقيان السوريان حارث مهيدي ووسيم مقداد حفلاً موسيقيًّا غنائيًا في "بيتنا سوريا" في مدينة غازي عنتاب التركية في الرابع من آذار الجاري، تحت اسم فرقة "صبا بردى" الفرقة التي تشكلت عام 2014 من موسيقيين سوريين اضطروا لمغادرة وطنهم واللجوء إلى تركيا، وقدمت "صبا بردى" الكثير من الحفلات والأمسيات في مدن تركية مختلفة. وذكرت منشورات الحفل "نهتم بتقديم موسيقانا لكل الجمهور السوري والتركي والأجنبي لنقول إن السوريين كباقي شعوب الأرض يطمحون إلى الفرح والإنتاج والحياة" كما تضمن برنامج الحفل المقطوعات: "ابنن أنا، بس اضحكي، وصلة فراتية، أنت يا أما كافر يا إرهابي، أسمر، عودة، بتتذكري، كيف بتحب نموت يا مواطن، رقصة كرد". جدير بالذكر أن الحفل لاقى إقبالاً كبيراً وحضوراً واسعًا وتغطية من عدة وسائل إعلام.

"قصة حب سورية" يحصل على جائزة اللاجئين في مهرجان "سينما من أجل السلام" في برلين

حاز فيلم "قصة حب سورية" على جائزة اللاجئين في مهرجان "سينما من أجل السلام" المقام سنويًّا خلال شهر شباط/ فبراير في العاصمة الألمانية برلين. الفيلم من إخراج شون مكاليستر، وهو مخرج بريطاني اعتقلته أجهزة أمن النظام السوري عام 2011، عندما كان في سوريا، حين عثرت معه على تسجيلات لبطلي الفيلم (عامر داوود ورغدة حسن) وهما ينتقدان النظام السوري ويشاركان في التظاهرات ضده. ويحكي الفيلم قصة زوجين سوريين التقيا قبل عشرين عامًا في سجن لأجهزة الأمن السوري، ويرصد حياتهما مع أولادهما، بعد أن تمكنا من الهرب إلى لبنان ثم اللجوء إلى فرنسا، حيث تابع المخرج تصوير فيلمه الذي امتد لخمس سنوات.

فؤاد حلاق يحصل على جائزة مهرجان صانعي الأفلام العالمي

فاز الناشط الإعلامي والمصور السوري (فؤاد حلاق) بالجائزة البلاتينية عن فيلمه "وراء الكواليس Backstage" في مهرجان صانعي الأفلام العالمي "Filmmakers world Festival" الذي يصور مشاهد لا تلتقطها عدسات الكاميرا عادة، خاصة في المعارك، حيث تهتم وسائل الإعلام بصور المقاتلين في المعارك وتوثق عملهم، إلا أنها لا تهتم بالمسعفين ولا توثق عملهم رغم أهميته. وحاز الفيلم على الجائزة بالمشاركة مع مصورين من سبع دول أخرى كل عن فيلمه. فؤاد حلاق 27 سنة، من مواليد حلب، عمل في الفريق الطبي لحي بستان القصر.

الحكاية الناقصة للحمار

حيدر محمّد هوري

(الأحلام , عادةُ الفقراءِ ومهنةُ العوانسِ ..)
هكذا قال جدي

مشهد تقليدي

كعادته الشتاءُ يراودُ شوارعَ القرى عن ترابها. يجعلها موحلةً وخاليةً من العابرين ، وكعادته الليلُ في شتاء القرى طويلٌ وحافلٌ بحكايا الجدّات، وأسرارِ العشاقِ على أسطحةِ البيوتِ وفي حظائرها النائية.

كان الليلُ يحاكمُ النجماتِ التي بَدَتْ خجلةً وخائفةً فاقتصدت في بريقها، فالشتاءُ هذا العام مختلفٌ تمامًا. المدافئ نائمة. سكان القرية تملكهم الهدوء، فقد اعتادوا البرد بعد أزمة المازوت في البلاد وقد اعتادوا على الجوع والموت والخراب.

لقد أصبحت الحياة هاجسهم الوحيد والمفترض.

هي الحرب مكيدة الشياطين ولعبة الوحوش وقد صرنا من اللاعبين دون إرادتنا، أيتها الحرب خذي ما تشائين لكن لا تتنكري لنهيق الحمار.

عن حال الحمار على لسانه

في الليل، بعيدًا عن الناس، وسط الحقول تحديدًا، أشتم البشر بكلّ جرأة وشجاعة لا يستطيع أحدهم أن يردّ بوجهي، أو أن يواجهني في معركة عادلة خصمًا لخصم. نهيقي صار يفزعهم ويرعبهم. شاع بين الناس: إن أرواحَ تلك الحمير التي أعدمتْ صارت تحوم في شوارع البلاد جميعها مطالبةً بالثأر. لستُ خارقًا أو متلبسًا بجن من الشياطين، لست كائنًا أسطوريًا، أنا مجردُ حمارٍ يقف على الحيادِ في هذه الحرب. أنا الناجي الوحيد من مجزرة الحمير.

الحكاية الناقصة للحمار

لم تتحرك الأوساط السياسية والإعلامية بشكل كاف للدفاع عنا بعد مجزرة الحمير. الصور عالقة في ذاكرتي كشريط لفيلم قصير لا تتجاوز مدته الثلاث دقائق، لكنه في حساباتي جرحٌ ينزُّ ولن يلتئم. كيف لي أن أنسى الجنود وهم يجردون أمي وأخوتي من سروجهم، أو أن أتجاوز عن وقاحة أولئك الجنود الذي حشو نصال حرابهم في فروج العذروات من الحمير! لم ير أحدكم قائدهم وهو يركلني على وجهي.. لم تسمعو شتائمهم. لم ولم..

والآن أنا الشاهدُ الوحيد عليهم، والشاهد الليلي على جرائمهم. لدي شريط طويل منها. شاهدت القتل والاغتصاب والتعذيب وشاهدت وشاهدت ...إلخ، لكن ولأجل طفلة قدمت لي (طشتا) من (التبن) أسعى جاهدًا لحل هذه الأزمة وإنهاء الحرب التي فعلت ما لم تفعله حتى الشياطين. فبعدما كنت مشاهدًا نهمًا لمسلسلهم الطويل، سأحاول مساعدة البشر. لكن نهيقي لا يعجبهم، لذا يدّعون عدم فهمهم لمطالبي وحلولي، لغتهم ليست صعبة، هي بسيطة جدًا لكن عدم امتلاكي للأصابع وقف حائلا أمامي وأمام تعلم اللغة البشرية.

بدأت المؤامرات تحاك من حولي. تعرضت لأكثر من عملية اغتيال ونجوت.. من كان يريد لهذه الحرب الاستمرار كان يهاجمني على شاشات التلفاز وفي المواقع الإلكترونية، بالأمس سخر أحدهم مني وقال: كيف لمخلوق يمشي على أربع أرجل أن ينهي هذه الحرب؟

هذه العبارة أيقظتني من حلمي، حقًا لن أستطيع أن أفرق بين الأطراف المتحاربة بلا يدين كانتا تصفقان بالأمس القريب للسلطان وهو يصدر أحكامًا بالإعدام بحق الأبرياء مثلهم، ولن أستطيع مسح دموعي في حضرة السلطان لو قتل أحد أقربائه، بلا أصابع.

حقيقةً، هذه الحرب لن تنتهي، لكني حلمت كثيرًا أن أقف على رجلين لكي أحتضن تلك الصغيرة من كل قلبي، صدقوني لقد نسيت أهلي وأقربائي الذين ماتوا برصاصاتكم، لأجلكم. صدقوني حلمت أن أقف على رجلين لكي أسلم عليكم من كل قلبي لا لأضغط على زناد الموت. ساعدوني لأقف مثلكم وسأنسى شتائمكم، وسأصفح عن سارق الرسن، وعن الأطفال الذي حشوا الفلفل الحار في مؤخرتي وعن الضابط الذي ركلني على وجهي، وعن الجندي الذي طاردني يوم مجزرة الحمير. ساعدوني فقد قالت عرافة من الغجر عندما يمشي الحمار على قدمين ستنتهي الحروب بين البشر.

وبدأ الحمار ينهق بصوت عالٍ ساعدوني.. ساعدوني.. كان على وشك الوقوف على قدمين.. لكن رصاصة غادرة اخترقت صدغه. عندها صرخ الجندي :سيدي.. سيدي، لقد قتلت الحمار الذي قد هرب.

الوقوع في السماء

ساره هنيدي

لوحة للفنانة مروى نجار

أريد الوقوع في هذه البحيرة.. مرآة السماء.. أريد الوقوع في السماء.

***

أريد انتشال قلبيَ النحيل من ذاك الجذع اليتيم في القاع..
أريد أن أصبح شخصًا آخر
أن أشلح جلْدي عنّي
وأن أنتزع تلك الذاكرة من لفافات رأسي
أن أرميها بعيدًا كطفل يرمي حجرًا فوق الماء ليثب مرّتين
ويغرق إلى الأبد

أريد أن أمشي بخفّة ورقة متأخّرةٍ جفّت طوال السنة
وسقطت فور مجيء الربيع
أريد الوقوع في هذه البحيرة، في السماء..
وتجفيف أرقي بغيمة
ترميم خوفي بالزُّراق
تعطير نفَسي برائحة الندى الشفيف
الذي تسبح عليه تلك البجعات المتعجرفات

أريد أن أُمطر بغزارةِ حرب
أن أُثلج بقساوة وطن
وأن ألتحف الغطاء الثلجي الذي يغطي تلك البحيرة
لعلّ قلبي يبرد قليلاً
ويكف عن إصدار كل هذا العويل!

أريد لهذا الفؤاد أن يمسح عنه دموع دمائه
وأن يلتفت إلى سعادته
كما تلتفت زهرة عباد الشمس
إلى محبوبها
دون أن تتفكّر.

من هو معجبك السري:
الاختبار البريء الذي لا يحمل أيا من معاني البراءة!

باسل مطر
مشروع سلامتك

يقول الخبراء أن لا شيء مجاني في عالم التجارة والإنترنت. إن لم تكن تدفع ثمن خدمة ما فاعلم أنك أنت السلعة التي تباع وتشترى وتدر الأرباح على مقدمي هذه الخدمات. مامعنى هذا الكلام؟

تنشر خدمات مجانية لا تنتهي على الإنترنت, ولا نريد القول أن جميعها له هدف تجاري، فبعضها لا يحمل مثل هذه الأهداف بالتأكيد, لكن الغالبية الساحقة منها تديرها شركات تريد الربح. يعني هذا ببساطة أن هذه الشركات تستفيد من المعلومات التي تقدمها لها عن نفسك, وعملك ومعارفك, وقد تبيعها لشركات أخرى تعمل في مجال الإعلان والتسويق. هناك الكثير من الطرق التي تستطيع شركات التسويق والإعلان الحصول من خلالها على معلومات عنك, وفي الآونة الأخيرة انتشرت اختبارات فيسبوك الاجتماعية التي تخبرك عن أكثر الناس قربا إليك, أكثر صورك شعبية, والشخصية العامة التي تشبهك والبلد الذي تنطبق صفاته عليك! هل توقفت ولو قليلا عند هذه الاختبارات؟ ناهيك عن مدى الجدية والمصداقية التي تحملها, ونحن نؤكد لك أنها لا تتمتع بأي من ذلك على الإطلاق, فهي وسيلة مكشوفة لاختراق خصوصيتك والولوج إلى بياناتك على حسابك على فيسبوك والتصرف بما في ذلك بيعها لأطراف أخرى, قد تبيعها بدورها لأطراف جديدة, وهو أمر لا نعرف أين ينتهي! فأنت السلعه التي لا تراها وتعتقد أنك تحصل عليها مجانا!

لنأخذ مثالا على ذلك لشرح الفكرة. منذ فترة انتشر على فيسبوك اختبار بعنوان "من هو معجبك السري؟" الذي تقدمه شركة ميو والتي تقدم المئات من الاختبارات المشابهة. من المدهش أن الملايين من المستخدمين قاموا بإجراء الاختبار وشاركوه على صفحاتهم على فيسبوك دون إيلاء الانتباه إلى حجم المعلومات التي يحصل عليها الاختبار.

عند النقر على الرابط تصل إلى صفحة الاختبار التي تعرض عليك الصلاحيات التي يطلبها هذا التطبيق, وإليك هذه الصلاحيات:

- بروفايلك العام والذي يشمل اسمك وتاريخ ميلادك والمدينة التي تعيش فيها وجنسك وبريدك الإلكتروني ورقم هاتفك
- قائمة أصدقاءك كاملة على فيسبوك
- كل ما نشرته من صور ونصوص وروابط ومنشورات وفيديوهات منذ أنشأت حسابك
- الصفحات والمنشورات والصور والفيديوهات التي أعجبت بها منذ أنشأت حسابك

تقول الشركة في بيان في أسفل صفحة الاختبار أن المعلومات التي تجمع تستخدم فقط للتسليه ولإجراء الاختبار, لكن القصه لا تنتهي هنا, فعند مطالعة سياسة الخصوصية الخاصة بالشركة نجد أنها تتيح لها التصرف بهذه المعلومات, وهذا يعني أنها تستطيع بيعها لشركات الإعلان, لكن السلسلة لا تنتهي هنا أبدا.

تجمع الشركة من خلال التطبيق ملايين عناوين البريد الإلكتروني, وهي ثورة من البيانات التي تحتاجها الشركات لتسويق منتجاتها, وهي أيضا تستطيع معرفة شبكة معارفك وأصدقاءك, ونحن نعلم أن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي لا يجيدون الحفاظ على خصوصيتهم, مما يعني أن الشركة ستحصل على معلومات عن هؤلاء أيضا.

تقول الشركة أن سياسة الخصوصية هذه لا تنطبق على الأطراف الأخرى التي قد تحصل على هذه المعلومات, وهذا أمر يثير الكثير من الريبة, حيث لا تحدد هذه الأطراف.

في زاوية أخرى من سياسة الخصوصية تقول الشركة بأن المعلومات الشخصية التي تجمع تعالج على مخدمات عديدة في دول مختلفة, مما يعني أن معايير الخصوصية والأمان تختلف حسب البلد, وهو أمر ثان يدعونا للتفكير مليا بمصير هذه المعلومات وكيف تتم المحافظه عليها ومن يستطيع الوصول إليها.

قد تبدو هذه الاختبارات مغريه للتسليه, فمعرفة من هو الصديق الذي يحبك أكثر من غيره, أو معرفة معجبك السري لا تخلو من الإغراء, لكن الثمن هو خصوصيتك, والنتيجة مئات الرسائل الإعلانية في بريدك الإلكتروني, وعدد لا متناه من الشركات التي تعرف عنك أكثر مما يعرفه المقربون منك.

من الصعب إقناع المستخدم بدرجة الخطر التي تحملها مثل هذه الاختبارات والسماح لها باجتياح خصوصيتنا ومعرفة كل صغيرة وكبيرة عنا. فيسبوك شبكة للتواصل الاجتماعي تعرف عنك كل شيء, وهي تمتلك كل ما تنشره عليها, لكن هذا لا يبرر أبدا السماح لشركات أخرى ذات أهداف غير واضحة بالوصول إليها.

المعتقل وليد

المشهد 1

معتصم أبو الشامات

كان يمشي مع صديقته خارجاً من باب الكلية، وفجأة... استوقفته مجموعة من مسلحي ميليشيا الدفاع الوطني:

- "هوياتكون"
- "مين حضرتك"
- "كسار راسك يا واطي"
- "ليش هيك عما تحكي؟!"
- "شو ما ابتعرف مين نحنا، والله لنربي العراعير فيك"

استفاق من غيبوبته يحاول أن يعرف مصدر الألم، هل هو من ظهره أم من رقبته.

يشعر بآثار كدمات على وجهه والدم يسيل من يده..

ماذا جرى!!.... أين سلمى!!!.... أين أنا!!!!

سمع من بعيد أصوات ناس تتعذب.. تتألم، شتائم وكلام بذيء، كلمات تنتهك كل ما هو مقدس، مسبات تنال من الشرف والعرض والكرامة، وأصوات سياط تنهش من جلود البشر.

خاف أن يصرخ، كتم أنفاسه حتى لا يعرف أحد باستيقاظه، سمع أصواتاً قادمة، فتح الباب.. أغمض عينيه حتى لا يشعر أحد بصحوته، لسعات من ماء بارد تنهمر على جسمه، تدخل لتنخر عظمه

فيصرخ من الألم حتى تختفي صرخاته..

- "شو فقت يا ***. عم تتمرجل على أسيادك، والله لأعملك فرجة لكل ابن ***، لسا لعرفك مين نحنا"
- "والله يا سيدي ما بعرف ليش أنا هون"
- "هاد الحكي ابتحكيه بالتحقيق مو عندي هون"

يستدير خلفاً ويخرج، يطبق الباب خلفه، أصوات أقدامه ترحل بعيداً ليبقى الصمت الذي تتخلله الصرخات وآثار ماء تلسع الجلد من برودتها.

هُدنة